المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى
" إمارة دبى نموذجاً "

أ.د. على عبد الرازق جلبى*

المقدمة :

أصبحت العولمة – باعتبارها تيارًا حديثاً – مألوفة لنا جميعاُ، إلى جانب التداعيات التى ترتبت على طابعها البنائى، والتى فاقت كل تقدير حيث اختفت حدود الزمان والمكان وزادت عمليات الاستثمارات الأجنبية والانتقال الحر للسلع ورأس المال والعمالة، ووجدت بلدان العالم الغربى أسواقاً جديدة وفرصاً للاستثمار فى الخارج. وظهر مع العولمة لاعبون جدد ينافسون الاقتصاديات الغربية عالية التقدم، خاصة المناطق التى تنخفض فيها تكاليف العمالة ونقصد بذلك شمال شرق آسيا وأوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية، وأصبح من الواضح أنه لم يعد كافياً للبلدان المتقدمة مثل كندا وألمانيا وإيطاليا أن تتنافس على أساس التكاليف المنخفضة، وإنما كان عليها أن تنشط عائداتها التنافسية من تكثيف المعرفة والابتكارات ذات الجودة العالية، الأمر الذى تنبه إليه أيضاً الشركات الكبرى والمتخصصون فى المعرفة وعلماء الإدارة والقائمون على صنع السياسة، وبدأت المدن تسائل نفسها : كيف يمكن أن تنافس بوسيلة أكثر ذكاء فى ظل كل هذه التحولات العالمية(١).

وقد أخذ الكثير من دول العالم يستجيب للتحول من السياسات التنموية التى تعتمد على تكثيف العمل أو تكثيف رأس المال إلى سياسات بديلة تُبنى على تكثيف المعرفة. ووجد التوجه نحو التنمية القائمة على المعرفة اهتماماً متزايدًا على يد الأكاديميين وصناع السياسة فى العالم، وأبدع الخيال التنموى نماذج التنمية الحضرية القائمة على

---

* أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية.

(1) Gert-Jan Hospers. Creative Cities: Breeding Places in Knowledge Economy. Back Ground Paper (f/48, Auges dt 20904). [http://www.cpth.org] (accessed February 2, 2014).

المعرفة، ومدن المعرفة والمدن الإبداعية والدوائر المحلية لمجتمع المعرفة؛ تلك التى فتحت آفاقاً بديلة للتنمية أمام دول العالم.

وكانت إمارة دبى من بين البلدان العربية التى استوعبت هذا الدرس وحاولت تجاوز مأزق التنمية الذى واجهته أثناء الأزمة المالية خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، وبادرت بتحويل اقتصادها إلى اقتصاد معرفة وبناء سياساتها التنموية على تكثيف المعرفة، وشرعت فى تأسيس المدينة الإبداعية وتشكيل رأس مال معرفى، وكان من المهم التوقف أمام هذه التجربة بهدف فهمها وتفسير معوقاتها لعل هذا الجهد البحثى يسهم فى دعمها.

ولقد حظيت المدن الإبداعية باهتمام الباحثين فى مختلف العلوم الاجتماعية والطبيعية. فهذا هسبرز Hospers يقدم تصنيفاً للمدن الإبداعية فى التاريخ القديم والحديث ويميز بين أربعة أنواع منها، وأضاف تحليلاً لمجموعة من العناصر التى يترتب على تجمعها معاً فى المكان زيادة فرص الإبداع الحضرى. ويهتم جيرتلر Gertler بالكشف عن الفوائد المجتمعية والأهداف التى ترمى إليها المدن الإبداعية. ويربط لازلو Lazlo بين المدن الإبداعية وأهداف التنمية القائمة على المعرفة كاشفاً عن (١٠) أنواع من رأس المال، من بينها رأس المال المعرفى الذى يعزز ويدعم النشاط الإنسانى والتجديد والابتكار. ويقدم فلوريدا Florida تصوره حول الطبقة الإبداعية Creative Class، والعاملين فى مهن المعرفة – Knowledge Based Occupations .. ويركز سكوت Scott فى دراسته للمدن الإبداعية على خصائص الاقتصاد القائم على المعرفة وتداعياته على المدينة. ويحلل جيرتلر تداعيات العولمة على المدن الإبداعية ... إلخ. لكن لا يزال هناك ثغرة فى الأدبيات تبرر الحاجة إلى تناول المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى واقتصاد المعرفة والعولمة والتفاعل بين هذه المتغيرات. وفى هذا السياق تبلورت فرضية الدراسة الحالية ومؤداها "أن بنية المدن الإبداعية تسهم فى نمو رأس مال معرفى ضرورى للتحول نحو اقتصاد المعرفة". وذلك باعتبار بنية المدن الإبداعية متمثلة فى كثافة التفاعلات والتنوع والتحديات. ورأس المال المعرفى، محدداً فى طبقة المبدعين والعاملين فى مهن المعرفة واقتصاد المعرفة، يعبر عن نوع من الاقتصاد الجديد الذى يتحقق فيه النمو من خلال قطاعات عمل وإنتاج جديدة مثل صناعات التكنولوجيا المتقدمة والتصنيع الفنى الجديد وخدمات المال والأعمال وصناعة المنتجات الثقافية بما فى ذلك الإعلام. وقد ساعدت هذه الفرضية على طرح مجموعة تساؤلات فى حاجة إلى إجابة من خلال تناول أحد نماذج المدن الإبداعية فى الوطن العربى.

والواقع أن اختيار دبى نموذجًا للمدن الإبداعية فى الدول النامية والعالم العربى لم يحدث من فراغ؛ لأن هناك شواهد عديدة جسدت هذا النموذج. ويعتمد هذا البحث على منهج إعادة التحليل وتفكيك وتركيب نتائج الدراسات السابقة والأدبيات المتاحة حول الموضوع على الصعيد العالمى والإقليمى والمحلى، وتحليل ما يتوافر من بيانات جاهزة وإحصائيات ذات صلة بالموضوع، كما يستفيد البحث من طريقة دراسة الحالة فى تناوله لنموذج دبى. ويجرى تحليلاته للبيانات المتاحة على مستويات متباينة، كونية بالمقارنة بالمدن الإبداعية فى العالم، ثم على مستوى متوسط، أو التركيز على بنية المدينة الإبداعية فى دبى وخاصةً جودة الحياة والتعليم؛ وذلك بهدف التحقق من فرضية البحث والإجابة عن تساؤلاته. **ولقد قُسم البحث إلى أربعة محاور**؛

١- منهجية دراسة العلاقة بين المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى.
٢- مدينة التكنولوجيا والثقافة وجودة الحياة فى دبي.
٣- جودة التعليم العالى فى دبي ونمو رأس المال المعرفي.
٤- دبي والتحول إلى اقتصاد المعرفة.

المبحث الأول - منهجية دراسة العلاقة بين المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى :

١) فى تصور العلاقة بين المدن الإبداعية واقتصاد المعرفة :

لقد تم مراجعة أدبيات التنمية القائمة على المعرفة والاقتصاد المعرفى، والتنمية الحضرية القائمة على المعرفة، ودوائر المعرفة إقليمياً وعالمياً فى دراسة سابقة[١]، ونركز هنا على مراجعة الأدبيات التى تناولت مفاهيم المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى، وتلك التى اهتمت بتحليل قضايا: نماذج المدن الإبداعية وبنيتها، وأهداف المدن الإبداعية وتشكيل رأس المال المعرفى، والعولمة واقتصاد المعرفة، وربما ساعدتنا هذه المراجعة على بلورة فرضية البحث حول العلاقة بين بنية المدن الإبداعية ونمو رأس المال المعرفى وإثارة التساؤلات ذات الصلة.

(١) على عبد الرازق جلبى وأمل عادل عبد ربه؛ التنمية القائمة على المعرفة؛ سياسة تنموية بديلة: تحليل خطاب دوائر المعرفة فى مصر. المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، معهد التخطيط القومى، القاهرة، المجلد الحادى والعشرون، العدد الأول (يونيو ٢٠١٣).

أ- نماذج المدن الإبداعية وبنيتها :

إن المدينة الإبداعية[١] تعد ظاهرة تنتمى إلى كل عصر، وأنه ليس هناك بيئة حضرية معينة تدلل دائماً على الإبداعية، أضف إلى ما سبق أن التاريخ يذخر بنماذج متباينة من المدن الإبداعية، بعضها مدن تجديد تكنولوجى، والثانية مدن فكرية ثقافية، والثالثة مدن تكنولوجية ثقافية، والأخيرة تنظيمية تكنولوجية، وقد يساعدنا تتبع هذه النماذج على التعلم من خبراتها المتعددة، وييسر مهمة التعرف على المدينة الإبداعية. وفى هذا الصدد يذكر هوسبرز Hospers أننا شاهدنا فى الماضى أمثلة كثيرة على مدن التجديد – التكنولوجى Technological – innovative، تلك التى أسهمت فى توليد تطورات تكنولوجية جديدة، وأحدثت ثورات حقيقية. ومن أمثلتها مدينة ديترويت Detriot وصناعة السيارات فى أمريكا حوالى عام ١٩٠٠ ومدينة مانشستر، التى اشتهرت فى القرن التاسع عشر بصناعة المنسوجات، ومدن منطقة الراين Ruhr التى اشتهرت بصناعة الفحم والصلب. أما عن مدن التجديد والتكنولوجيا فى العصر الحديث، فيمكن أن نذكر وادى السيلكون وسان فرانسيسكو وأوكسبريدج فى أمريكا، وأكسفورد وكامبردج فى المملكة المتحدة. وتمثل هذه الأقطاب التكنولوجية قبله التكنولوجيا فى العالم، وتشكل أهدافاً أمام الكثير من المدن والمناطق الحضرية التى ترغب فى تقليد النجاح التكنولوجى لوادى السيلكون على وجه الخصوص.

أما المدن الثقافية والفكرية فتكشف عن خبرة إبداعية مختلفة، وهى أن هذا النموذج من المدن كان يعنى بالثقافة والعلم وفنون الأداء والتشخيص، وقد ازدهر فى فترات حدث فيها توتر بين النظام القديم المحافظ وأجياله وبين جماعات صغيرة من الراديكاليين، ذوى العقول المجددة، وكيف أحدثت الفجوة بين هذه الأجيال استجابات إبداعية، من جانب الفنانين والفلاسفة والمفكرين، وكيف عملت هذه الثورة الإبداعية بدورها على جذب أصحاب المواهب، الذين كانوا يرون فى مثل هذه المدن أماكن تتيح لهم الحرية لإطلاق العنان لمواهبهم. وتمثل

---

(١) المدينة الإبداعية Creative City مصطلح شاع استخدامه فى أدبيات التنمية القائمة على المعرفة، إلى جانب مجموعة أخرى من المصطلحات البديلة مثل مدن المعرفة Knowledge Cities، المدينة الذكية Smart City، مدينة التعليم Learning City، واحة التقنية Technological Park ... إلخ (فراتشيسكو كاريللو، مدن المعرفة؛ المداخل والخبرات والرؤى؛ ترجمة عربية، إعداد خالد على يوسف، عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر ٢٠١١، ص ص ٤٥-٤٧).

أثينا فى العصور القديمة موطناً للديموقراطية، أما فلورنسا فقد كانت مدينة الفنون خلال عصر التنوير. كما يمكن اعتبار مدن الجامعة المزدهرة فى كامبريدج (فى المملكة المتحدة والولايات المتحدة) وبوسطون وتولوز وهايدلبرج، أمثلة معاصرة على ذلك النوع من المدن الإبداعية.(١)

وتمثل مدن التكنولوجيا والثقافة النموذج الثالث للمدن الإبداعية، إذ شهدنا فى الماضى مدناً عنيت بالصناعات الثقافية، كصناعة السينما فى هوليوود (١٩٢٠)، ونظيرها الهندى (بوليوود) فى بومباى، والموسيقى فى ممفيس، والأزياء فى باريس وميلانو. ويتمثل هذا النوع من المدن الإبداعية فى العصر الحديث فى تورنتو وصناعة الوسائط المتعددة، وأوستن ومشهد الموسيقى الحية ومانشستر وموسيقى الموجة الجديدة، وهامبورج حيث الميديا الجديدة وصناعة التسلية. وظهرت عناصر تكنولوجية وثقافية فى مدن ألمانية مثل أمستردام وروتردام، التى اختيرت عاصمة أوربية للثقافة عام ٢٠٠١ بسبب مهرجان السينما والعمارة. وتوقع كل من هال (١٩٩٨) وسكوت (٢٠٠٠) ظهور عدد كبير من هذه المدن الإبداعية فى القرن العشرين، وأن المستقبل الذهبى للمدن القادرة على الجمع بين الإنترنت والوسائط المتعددة، وعرض الثقافة بأسلوب ذكى، فى شكل زيارات افتراضية للمتاحف. أما مدن التنظيم والتكنولوجيا – النموذج الرابع للمدن الإبداعية – فتقدم الحلول الإبداعية والأصيلة للمشكلات المتفاقمة فى الحياة الحضرية الصاخبة، مثل توفير المياه النقية للسكان، وإقامة بنية تحتية، وتوفير وسائل نقل مناسبة، وإسكان آمن. ومن أمثلتها، مدينة روما فى ظل حكم القيصر، ولندن فى القرن التاسع عشر وباريس ووسائل نقل الأنفاق، ونيويورك عام ١٩٠٠ واستكهولم بعد الحرب حيث نظم الإسكان المزدوج. ولا تزال المدن السكنية فى الولايات المتحدة وأوروبا حالياً تدلل على الإبداع التنظيمى والتكنولوجى، ويمكن أن نستشهد هنا بمدن مثل بالتيمور وفيلادلفيا (وإعادة التجديد فى القطاع الخاص) وباريس (نظام الترانزيت الذى يجمع بين الترام والسكك الحديدية والأتوبيسات). والأمر الأساسى فى مدن التنظيم والتكنولوجيا أن الحكومات اختارت العمل وفق طراز إبداعى من خلال التعاون المشترك مع مجتمع رجال الأعمال المحليين، وتفعيل الشراكة بين العام والخاص على المستوى المحلى(٢).

(1) Gert – Jan Hospers. Creative Cities: Breeding Places in Knowledge Economy. Op. cit.
(2) Ibid, pp. 1-5.

وعندما تساءلنا عن مقومات المدن الإبداعية وعناصر بنيتها، وجدنا هوسبرز Hospers يضيف فى هذا الصدد: أن كل هذه النماذج من المدن الإبداعية تتفق فيما بينها على أنها تمثل أماكن لتوليد الإبداع، ويستشهد فى ذلك بما ذكره شومبيتر بأن الإبداع يؤدى إلى تركيبات جديدة، وأن المبدع قد يرى مايراه الآخرون ولكنه يفكر ويأتى أو يعمل شيئاً مختلفاً تماماً، أو يحدث تجديداً، ولذلك من الخطأ الاعتقاد أن المبدع يستطيع مع غيره بناء مدينة إبداعية ذات كثافة معرفية يمكن أن تسهم فى اقتصاد المعرفة الحضرى، وإنما هناك مجموعة عناصر أو ظروف يترتب على تجمعها معاً فى المدينة، زيادة فرص الإبداع الحضرى، وهى عناصر يمكن حصرها فى : كثافة التفاعلات والتنوع والتحديات[1].

- **كثافة التفاعلات والتركز** Concentration : يعتبر الإبداع والمعرفة والتجديد عملاً من اختصاص البشر، بمعنى أن المدينة فى ذاتها ليست هى المصدر فى هذا الصدد، فسكانها هم الذين يقومون بالتجديد. لأن وجود عدد كاف من الناس وتركزهم فى موقع معين يعتبر بمثابة حافز أساسى للإبداع الحضرى، حيث تتاح لهم الفرصة للتفاعل الإنسانى والاتصالات. وهو ما يعنى أن تركيز السكان لا يتوقف فقط على عدد السكان، وإنما يتعلق بكثافة التفاعل بينهم، حيث اللقاءات المتكررة والاتصال المكثف، وما يساعد على صنع أفكار جديدة وتجديدات، ورغم أن بلدًا مثل هولاندا، قليلة من حيث عدد السكان فإن الكثافة السكانية بها، تجعلها تبدو كما لو كان كل هولندى يستطيع أن يلتقى بقية السكان.
- **التنوع** Diversity : ونقصد هنا التنوع بالمعنى الواسع للكلمة الذى لا يقف عند حد التنوع بين السكان فى معارفهم ومهاراتهم ونشاطاتهم وإنما أيضاً التنوع فى تصوراتهم لمنشآت المدينة وبناياتها ومشروعاتها. وهذا يذكرنا بما قام به جاكوبس (١٩٦٩) من دعاية لفكرة التنوع باعتبارها تربة خصبة للإبداع فى المدن، وتستطيع المدينة ذات التنوع السكانى التى تضم أصحاب ريادات الأعمال والفنانين والمهاجرين وكبار السن والطلاب والأسر ... إلخ، وما يتوافر لديهم من مهارات متباينة وقدرات، وما تتاح لهم من فرص للالتقاء أن يتبادلوا المعرفة، وأن يطرحوا الأفكار الجديدة وأن يعرضوا تجديداتهم، وذلك أثناء الوجود معاً فى المكاتب أو المحال أو النوادى أو دور العبادة أو المطاعم والمقاهى أو غيرها. ولقد تبلورت هذه النتائج إستناداً إلى اختبار أفكار جاكوبس على أساس امبيريقى، التى افترضت أن المناطق الحضرية فى الولايات المتحدة وأوربا

(1) Ibid, pp. 5-7.

الغربية ذات التنوع والتباين تظهر معدلات نمو أسرع من المدن التى تتميز بأنها أكثر تجانساً، اقتصادياً واجتماعياً ومكانياً.(١)

- **التحديات :** وإذا عدنا إلى الماضى، نلاحظ أنه بالتحديد فى فترات الأزمات، كلما كانت المدينة تواجه تحديات وعدم استقرار أظهرت إبداعية أكبر. لقد كانت أمستردام حوالى عام ١٦٠٠، وفيينا فى القرن التاسع عشر ولندن وباريس وكذلك برلين خلال الحربين العالميتين كانت كلها بعيدة عن أن تكون مدناً مستقرة، وفى رأى البعض أن عدم الاستقرار هذا يعد ظرفاً إضافياً لصالح الإبداع الحضرى. وعندما تجد المدينة نفسها فى موقف قد يعرضها للسقوط فهذا قد يدعوها إلى الإبداعية. كما أنه بإمكان بعض الأحداث الصغيرة أو الفرص كلقاء بعض المبدعين مع أصحاب المشروعات، أن يؤثر فى الطريقة التى تنمو بها المدينة فى المستقبل. والخلاصة أنه إذا كانت التذبذبات متناهية الصغر يمكن أن تحدث تغيرات هائلة، فإن العامل المهم الذى يقف وراء الإبداع الحضرى يتمثل فى ظروف التحدى وعدم الاستقرار فى المدينة(٢).

ولعل اتفاقنا مع تحليلات هوسبرز لنماذج المدن الإبداعية وعناصر بنيتها فى اختيار البحث لمفهوم المدن الإبداعية، رغم أن الأدبيات ذات الصلة مالت إلى استخدام مفاهيم مثل مدينة المعرفة وواحات التكنولوجيا، والمدينة الذكية ومدينة التعليم فى وصف هذه النماذج من المدن – مرجعه ما أكده ياجيتكانتا أنه خلال عشرات السنين القليلة الماضية أصبح لكل من المعرفة والمدن أدوار بارزة، حيث حلت المعرفة محل العوامل المادية ورأس المال وأصبحت المدن منصات مهمة لتشكيل والارتقاء برأس المال البشرى وتحويله إلى رأس مال معرفى، ذلك الذى يعد واحداً من المفجرات الأساسية لإنتاج المعرفة والتجديدات؛ تلك التى تخلق فرصاً للعمل والثروة والنمو الاقتصادى المستدام(٣). **وربما ساعدنا التحليل السابق فى طرح بعض التساؤلات: مثل إلى أي النماذج المذكورة تقترب إمارة دبي بوصفها مدينة إبداعية؟ وما فرص التفاعل وأبعاد التنوع وأهم التحديات التى تواجه إمارة دبي؟ وهل كانت العناصر التى اعتمدت عليها كافية فى بنيتها لنمو رأس مال معرفى، أو أن هناك عناصر أخرى ضرورية لهذا النمو؟**

(1) Ibid, pp. 7-12.
(2) Ibid, p. 13.
(3) T. Yigitcanta. "Making Spaces and Places for the knowledge Economy; knowledge Based Development-Australian Cities". European Planinig Studies, Vol. 18, No. 11 (Nov., 2010), pp. 1770-1786.

ب- أهداف المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى :

هناك فوائد اجتماعية وأهداف ترمى إليها المدن الإبداعية، حيث يذهب جيرتلر Gertler إلى أن هذه المدن تلعب دوراً مهمًا فى تعزيز مرونة وتنافسيه الاقتصاد القومى، وذلك من خلال دعم حالة الابتكار بين العاملين وبين الشركات وغيرها من التنظيمات التى تشكل الإقليم الحضرى، لأنها أصبحت مع التحول الأوسع إلى الاقتصاد المبنى مع المعرفة Knowledge-Based Economy مفتاحَ خلق القيمة الاقتصادية من خلال دعم الابتكار وسهولة التكيف وترقية الجودة. وتملك المدن الإبداعية إمكانية واحتمالات تعزيز الجودة فى الحياة والفرص أمام قسم كبير وأوسع من المواطنين، وذلك على عكس النظرة الضيقة والمزاعم المتعلقة بالطبقة الإبداعية، التى كانت ترى أن المدن الإبداعية هى مجرد ساحة لطبقة ذكية تكنولوجيا حصلت على تعليم جيد، لا تزيد على ٢٠ أو ٣٠% من السكان. كما أن المدن الإبداعية تعمل على تحقيق الاندماج الاجتماعى بين المواطنين، بما يحقق هدف جودة المكان، باعتباره يجمع بين تحقيق المرونة الاقتصادية وتحقيق حياة أفضل لسكان الحضر. ومن المناسب ربطِ أهداف المدن الإبداعية بأهداف اقتصاد المعرفة، بل والأفضل ربطها بأهداف التنمية القائمة على المعرفة Knowledge – based development[1]؛ لأن هناك أربعة أعمدة تحدد لهذا النوع من الاقتصاد والتنمية القائمة على المعرفة:

أ- نظام اقتصادى ومؤسسى يوفر حوافز للاستخدام الكفء للمعرفة الموجودة ويخلق معرفة جديدة وريادات أعمال.

ب- سكان متعلمون لديهم مهارات تمكنهم من خلق واستخدام المعرفة.

ج- بنية تحتية مبنية على المعلومات يمكن أن تسهل الاتصالات الفعالة وتعمل على نشر وتدوير المعلومات.

د- نسق من مراكز البحث والجامعات ومنابر للتفكير Think Tanks والاستشارات وشركات وتنظيمات بإمكانها الانفتاح على مخزون المعرفة الكونية المتزايد، وتعمل على التوفيق والتكيف مع الاحتياجات المحلية وتخلق معرفة محلية جديدة. وتستطيع

(1) M, Gertler, Creative Cities, What are they for? How do they work? And what do Build them? Back ground Paper (f 48), Canadian Policy Research Network g n c, Website August 2004. <http://www.cprn.org> accesed February 10, 2012.

النماذج المختلفة من مدن المعرفة تحقيق هذه الأهداف[١]؛ حيث حدد لازلو Lazlo أهدافاً ثلاثة للتنمية القائمة على المعرفة باعتبارها أولاً استراتيجية قوية لتحقيق النمو الاقتصادى وترقية المدن والدول لما بعد الصناعة لكى تشارك فى اقتصاد المعرفة، وثانياً مدخلاً لدعم التنمية البشرية المستدامة، وثالثاً منظوراً لمجتمع تعلم مستدام بيئياً واجتماعياً فى المستقبل. وهكذا يمكن النظر إلى المدينة الإبداعية على أنها العنصر المادى Hardware والبنية التحتية للتعليم وابتكار المعرفة، ومجتمع التعلم هو العنصر المعنوى Software، لثقافة التعلم والإبداع والتجديد الذى يوزع عائدات وفوائد الوصول إلى المعرفة عبر المجتمع من خلال توفير حياة ذات جودة عالية وفرص أكبر للعيش ذى المعنى. وبدلاً من التفكير فى استراتيجيات مسئولة، اقتصادياً ومالياً وأخرى مسئولة اجتماعياً وثقافياً وثالثة مسئولة بيئياً، باعتبارها منفصلة عن بعضها، تطورت فى السنوات الحديثة وتأكدت وجهة النظر والتفكير فى ضوء توجه استراتيجيى موحد يركز على تنمية هدفها توليد (١٠) أنواع من رأس المال.[٢]

رأس المال الطبيعى Natural، الذى يضم المواد الخام والموارد الطبيعية والخدمات المتاحة فى البيئة والتى تستخدم مدخلات فى العمليات الصناعية وما توفره من منتجات. ورأس المال المصنع Manufactured الذى يتشكل من المنتجات المنتهية التى يعزى إليها كل قيم السوق. ورأس المال التكنولوجى Technological ويشمل الإنجازات والأساليب المستخدمة فى تشغيل وصنع كل القدرات البشرية الإضافية. ورأس المال النقدى وعمليات التقدير النقدى لقيم السوق. ورأس المال المعرفى Know How الذى يعزز ويدعم النشاط الإنسانى والتجديد والابتكار. ورأس المال البشرى Human (ويتشكل من صحة ورفاة السكان والمنتجين). ورأس المال الاجتماعى Social (الذى يعبر عن تماسك العلاقات وأدائها لوظائفها فى المجتمع المحلى). ورأس المال الثقافى Culture (الذى يدلل على أساليب الحياة

(1) W.N., Winden L.V. Denberg, and P. Pol, "European Cities In the knowledge Economy; Toward A Typology". Urban Studies, Vol. 44, No. 3, 2007, pp. 525-549.

(2) K, C, Lazlo and A, Lazlo. “Fostering Sustainable Learning Society Through Knowledge Based Development”. Systems Research & Behavioral Sience, No. 24, 2004, pp. 493-503.

والتقاليد التى تميز مجتمعاً أو جماعة ما). ورأس مال نسق البيئة Eco–System (الذى يعكس التنوع الحيوى والبيولوجى وغيرها). ورأس المال التطورى Evolutionary الذى يعكس إمكانيات سير العمل فى اتجاه زيادة الفرص المختلفة. وهذه الأنواع العشرة من رأس المال، تعتبر متداخلة فى الواقع، كما يحدث عندما يتم تصنيع براءة الاختراع، وتتحول من رأس مال معرفى وفكرى إلى رأس مال مصنع، ورأس مال تكنولوجى، ورأس مال نقدى ... إلخ وفى كل مرة يحدث تبادل وخلق للقيم، ويتحول رأس المال من شكل ملموس وظاهر إلى آخر مجرد وغير ملموس(١) والعكس.

وهنا قد يثار عدة تساؤلات، ماذا عن رأس المال المعرفى؟ ومم يتكون؟ وكيف تسهم المدن الإبداعية فى تشكيل رأس المال المعرفى بوصفه مطلبًا ضروريًا للتحول إلى اقتصاد المعرفة؟

ربما ساعدتنا إسهامات فلوريدا Florida المتعلقة بالطبقة الإبداعية Creative Class فى الإجابة عن هذه التساؤلات، لأنه انطلق فى تحليلاته من نقد نظرية رأس المال البشرى، ومع أنه يسلم مع هذه النظرية بأن السكان المبدعين يعتبرون بمثابة القوة المحركة فى النمو الاقتصادى الإقليمى وأن النمو الاقتصادى طبقاً لذلك سوف يحدث فى الأماكن التى يتوافر فيها سكان على مستوى عال فى التعليم. ولكن هناك سؤالاً رئيساً لا يزال فى حاجة إلى إجابة؛ لماذا يتجمع السكان المبدعون فى أماكن معينة، فى عالم ينتقل فيه السكان بدرجة عالية؟ ولماذا يختارون بعض المدن دون غيرها؟ وما الأسباب؟ وذهب فلوريدا إلى أن السكان المبدعين يفضلون الأماكن التى تتميز بالتنوع والابتكار والتسامح(٢).

ويتشكل رأس المال المعرفى والإبداعى أساساً من السكان الذين يكونون الطبقة الإبداعية Creative Class، التى يشارك أعضاؤها فى العمل الذى وظيفته خلق وابتكار أشكال جديدة ذات مغزى، وتضم العلماء والمهندسين وأساتذة الجامعات والشعراء وكتاب الرواية والفنانين والممثلين والمصممين والمهندسين المعماريين قادة الفكر فى المجتمع، والكتاب والمحررين والشخصيات الثقافية والباحثين فى المراكز الاستراتيجية Think Tank والمحللين وغيرهم من صناع الرأى. ويقوم هذا اللب الإبداعى الفائق Supper – Creative Core بإنتاج أشكال جديدة

(1) Ibid.
(2) R. Florida, ((Cities and Creative Class)). City & Community. 2: 1 March 2003, pp. 7-8.

أو تصميمات يمكن ترجمتها بالفعل وتكون ذات فائدة على نطاق أوسع، كتصميم منتج يمكن تصنيعه وبيعه واستخدامه على اتساع العالم أو الخروج بنظريات واستراتيجيات يمكن تطبيقها فى حالات كثيرة أو تشكيل موسيقى يمكن أداؤه مرات ومرات. يضاف إلى ذلك شريحة المهنيين المبدعين Creative Professionals خاصة الذين يعملون فى نطاق المهن القائمة على المعرفة Knowledge – Based Occupations فى قطاعات التكنولوجيا المتقدمة والخدمات المالية والمهن القانونية والرعاية الصحية، وما هم فى حاجة إلى عمله بانتظام هو التفكير وتجربة الأفكار الجديدة والابتكارات. ولذلك فإن الطبقة المبدعة تنتقل إلى مراكز الإبداع لأنهم يرغبون فى العيش فى أماكن توفر نسقاً للبيئة متكاملاً وموطناً تزدهر فيه كل أشكال الإبداع الفنية والثقافية والتكنولوجية والاقتصادية. إن ما تبحث عنه طبقة المبدعين فى هذه المجتمعات المحلية هو وفرة الخبرات ذات الجودة العالية والانفتاح على التنوع بكل الأنواع، وفوق كل ذلك الفرصة أمام مصداقية هوياتهم باعتبارهم أناسًا مبدعين(١).

ويوضح برادفورد Bradford كيف يمكن للنشاط الإبداعى دعم الحيوية الاقتصادية لإقليم المدينة، عندما سلط الضوء على إسهامات مهارات التصميم والإبداعية داخل اقتصاد أونتاريو Ontario فى كندا. وأكد أن قوة العمل المعنية بالتصميم التى تشمل مصممى الجرافيك والمصمم الصناعى والمسرح والموضة والمهندسين المعماريين ومهندسى المساحة قد حققت نموًا سريعاً بزيادة من ٤–٥ مرات على نمو قوة العمل الشاملة فى كل من كندا وانتاريو فى الفترة ما بين ١٩٩١–٢٠٠١. وأوضحت بحوث أخرى كيف أن التصميم مكن شركات فى صناعات أخرى مثل التشييد والأثاث ولعب الأطفال والمنتجات الغذائية، من إنتاج منتجات جديدة أكثر استدامة بيئياً على نحو أصبح معه التصميم أحد المدخلات ذات القيمة المتزايدة فى إنتاج عملية الابتكار(٢).

وتمكن حديثاً كل من ماركوس Markues وكينج King من توثيق أثر العاملين فى مجال الفنون فى كل أرجاء اقتصاد الولايات المتحدة، وكانا قد حددا هذه الفئة فى الرسامين والمصورين والنحاتين والكتاب والموسيقيين والملحنين وراقصى الباليه والممثلين والمخرجين، وانتهيا إلى أن الفنانين رفعوا الإنتاجية الشاملة والمكاسب فى الاقتصاد الإقليمى خلال الخمس سنوات الأخيرة من خلال تصدير أعمالهم وبيع منتجاتهم وخدماتهم فى الأسواق الخارجية،

(1) Ibid, pp. 8-9.
(2) Gert – Jan, Hospers. Creative Cities, Op.Cit., p. 11.

ومن ثم يجذبون الأمول إلى الإقليم، ومن خلال استخدام قدراتهم الإبداعية فى تعزيز منتجات وخدمات الآخرين فى قطاعات كثيرة داخل الاقتصاد المحلى، وبواسطة شراء خدمات ومدخلات متخصصة من الموردين المحللين، ومساعدة العاملين عبر الاقتصاد الإقليمى على توظيف المواهب، ومن خلال تعزيز ثقافة ريادة الأعمال، مادام الكثير من الفنانين يعملون لحسابهم الخاص. ولأن الفنانين الناجحين تحديداً هم الذين يقدمون على المخاطرة(١).

ويتناول نارولا Narula (٢٠٠٣) رأس المال المعرفى Knowledge Capital فى سياق دراسته لأنساق الابتكار فى المجتمعات المتقدمة والنامية، وكيف أن هناك اهتماماً قوياً من جانب الحكومات القومية بقدرة الشركات على القيام بنشاطات تعمل على تعزيز التنافسية من خلال توليد وتحسين جودة رأس المال المعرفى والبشرى باعتبارها واحدة من المحددات الأساسية التى تقف وراء التراكم التكنولوجى والقدرة على اكتساب وامتصاص المعرفة، ورصد تطور المعرفة وتقييم مدى مناسبتها. وأنه كلما كانت القوة العاملة على درجة عالية من المهارة، ويتوافر لديها مستوى تعليم عال، وحصلت على فرص تدريب جيدة، أمكن استغلالها فى نشاطات البحث والتطوير، وكلما أمكن التقليل من عيوب السوق وتشوهاته. ومن هنا تعلق الحكومات القومية أهمية كبرى على خلق ونشر رأس المال المعرفى الذى نظر إليه على أنه قاعدة أساسية يبنى عليها الرخاء الاقتصادى والمنافسة فى البلدان الصناعية المتقدمة(٢).

وهكذا اتضح أن المدن الإبداعية أماكن تتميز بالتنوع والابتكار والتسامح، ومراكز للإبداع تتسم بوفرة الخبرات ذات الجودة العالية وينتقل إليها ويفضلها طبقة المبدعين والشرائح المهنية المبدعة، وأصحاب مهارات التصميم والعاملين فى مجالات الفنون وغيرهم، وهم يملكون قوة عاملة على درجة عالية من المهارة، ومستوى تعليمى عالٍ، وحصلوا على فرص تدريب جيدة، وهؤلاء يمكن استغلال نشاطاتهم فى البحث والتطوير؛ وبذلك فإنهم يكونون رأس المال المعرفى كأحد المحددات الأساسية للرخاء الإقتصادى والمنافسة بين البلدان.

---

(1) Ibid, p. 8.

(1) R. Narula. Globalization & Technology; Interdependence, Ihno Vation Systems and Industral Policy. MPC. Books LTD. UK, 2003, p. 90.

والسؤال هنا يتعلق بدبى بوصفها مدينة إبداعية وماذا عن إمكانياتها فى تعزيز جودة الحياة والفرص أمام سكانها؟ وإذا كانت تتميز بالتنوع، وتتسم بوفرة الخبرات ذات الجودة العالية، وينتقل إليها طبقة المبدعين، والشرائح المهنية المبدعة ومهارات التصميم والفنون، فإلى أى حد تمثل الشرائح المكونة لرأس المال المعرفى فى دبى قوة عاملة وافدة؟ ومامدى إسهام جودة التعليم فى المدينة فى تعزيز رأس المال المعرفى بوصفه محددًا أساسيًا للانتقال إلى اقتصاد المعرفة؟

ج- العولمة واقتصاد المعرفة :

وبمراجعة تحليلات سكوت Scott عن المدينة الإبداعية وكذلك تحليلات جرتلر فى هذا السياق ربما حصلنا على إجابة عن أسئلة مثل؛ كيف تعمل المدن الإبداعية على نمو الاقتصاد الجديد (اقتصاد المعرفة)؟ وما خصائص هذا الاقتصاد وما تداعيات العولمة على تطوره؟

يرى سكوت أنه فى سياق التاريخ الاقتصادى للرأسمالية وارتباطه بأشكال معينة من التطور الحضرى والتحول الملحوظ فى الوقت الحاضر، وبعيداً عن الإنتاج بالجملة وأسواق العمل غير المرنة، تشكل أسلوب جديد فى العمل والإنتاج والحياة الحضرية سماه البعض باسم مجتمع مابعد الصناعة على النحو الذى يمكن القول معه بأن حد النمو والابتكار فى الاقتصاد المعاصر والحياة الحضرية قد يشكل من خلال قطاعات عمل وانتاج جديدة مثل صناعات التكنولوجيا المتقدمة والتصنيع الفنى الجديد، وخدمات المال والأعمال، وصناعات المنتجات الثقافية بما فى ذلك الإعلام وغيره. وقد أخذت هذه القطاعات فى مجموعها تشكل ما يعرف بالاقتصاد الجديد(١).

وقد ظهرت عدة خصائص مهمة لهذا الاقتصاد، منها **أولاً:** أن العمل فى الإنتاج يأخذ نموذجيًا شكل الشبكة المتسعة من الشركات، التى يسيطر عليها فى كثير من الحالات كيانات كبيرة مندمجة، ولكنها أيضاً مفككة على هيئة فروع من شركات صغيرة تعمل بطريقة التخصص المرن التى يتركز فيها الإنتاج على نوع واحد من المنتجات، حيث تتغير باستمرار مواصفات تصميم المنتج. **وثانيًا:** تميل أسواق العمل المرتبطة بهذه القطاعات إلى

(1) Allen, J. Scott. "Creative Cities; Conceptual Issues and Policy Questions", Journal of Urban Affairs, Vol. 28, No. 1, 2006, pp. 1-5.

أن تكون تنافسية ومرنة للغاية، مع وجود أفراد كثيرين يشاركون بعض الوقت إلى جانب أشكال مستقلة من واجبات العمل، ويتم التنسيق بين ممارسات العمل فى الشركات الفرعية، من خلال قوة عمل مبدعة وفريق عمل مؤقت يتولى هذا المشروع. **ثالثاً:** ونتيجة للامركزية المترتبة على كل من التخصص المرن وتشعب أسواق الاستهلاك، يتنافس المنتج النهائى مع بعضه الآخر ليس فقط على أساس التكاليف وإنما أيضاً على أساس خصائصه النوعية (الجودة) على نحو متزايد. **ورابعاً**، هناك خاصية ناشئة لكثير من القطاعات فى هذا الاقتصاد الجديد، تتمثل فى ميلها الملحوظ نحو التمركز جغرافياً فى شكل عناقيد Clusters وتجمعات محلية الموقع ومتخصصة، ومثال ذلك وادى السيلكون، وهوليوود، ومدينة لندن، وسيفر فى باريس والمقاطعة الصناعية فى إيطاليا، بل إن القطاعات من هذا النوع لم تنحصر فى أكثر البلدان المتقدمة صناعياً فقط وإنما نجد أقساماً كثيرة مختلفة من الاقتصاد الجديد وتكتلاته فى أجزاء متباينة من آسيا وأمريكا اللاتينية، والصناعات الحرفية فى جنوب الصين، والإلكترونيات المتقدمة فى بكين Beijing وبنجلاديش Bangalore وتجمعات إنتاج أجهزة التليفون فى بوجوتا Bogota وكاراكاس Caracas ومدينة المكسيك، وساو باولو[١].

وقد تناولت مدرسة لوس أنجلوس فى الدراسات الحضرية، تداعيات الاقتصاد الجديد على المدينة، وانعكاساتها على عملية التنمية الحضرية ونمو مستويات عالية من الإبداعية والتجديد، وقد ترتب على الدمج بين هذه الخصائص للاقتصاد الجديد وتداعياته تشكل المصدر المحتمل للميزة التنافسية المحلية، كعنصر حيوى ومهم فى المدينة الإبداعية المعاصرة[٢].

وربما كانت هناك تداعيات للعولمة على التطور الحضرى المعاصر عامة وعلى المدن الإبداعية خاصة، وذلك بعد أن اتسع نشاط مدن كثيرة وامتد فيما وراء الحدود القومية المباشرة. فالمدن التى تضم قطاعات وصناعات الاقتصاد الجديد ارتبط مصيرها بعملية العولمة من خلال أربعة مشاهد متميزة عن بعضها رغم الارتباط فيما بينها.

١. مع اتساع نطاق الأسواق بسبب العولمة، زادت كثافة الاتجاه نحو تكتلات حضرية فعلاً عبر الكثير من قطاعات الاقتصاد الجديد، ومن هنا أمكن وصف النظام العالمى الحديث جزئياً بأنه مجموعة اقتصاديات إقليمية متكاملة وتنافسية.

(1) Ibid, pp. 5-7.
(2) Ibid, pp. 9-15.

٢. تميل أشكال وصور التنافس الاقتصادى بين المدن المختلفة خاصةً المدن الإبداعية، على نحو متزايد، إلى التنوع وفق ما يعرف بالتنافس الاحتكارى، وربما يؤثر التنافس من هذا النوع فى مميزات المدن ذات القدرات الإبداعية المتميزة. وإذا كان هناك زعم أن العالم الحديث يتحرك فى الغالب فى اتجاه الأنماط الموحدة من الاستهلاك الثقافى الذى كان يغذيه حلم مصانع هوليوود مثلاً، فإن هناك زعماً مضاداً ومعقولاً، بأن هناك مراكز بديلة للإنتاج الثقافى عموماً والإنتاج السينمائى خصوصًا يمكن أن تشارك إلى جانب هوليوود، بحيث ينبغى لهذه المراكز البديلة أن تعلى من قدر النظم الفعالة فى الترويج التجارى وتوزيع منتجاتها.

٣. شارك الكثير من شركات المدن الإبداعية عبر العالم فى بناء شبكات دولية من الشراكة الإبداعية مع بعضها الآخر، فى صورة صفقات مشتركة، أو تحالفات استراتيجية، أو إنتاج مشترك وهكذا. وفى عالم متعدد التركيز والأصوات تعكس هذه الترتيبات صور التعاون التى يمكن تحقيقها من خلال التواجد معاً واستحضار مجموعات فريدة من المواهب والأفكار والمهارات متوافرة فى تكتلات مختلفة، ذات تقاليد وأصول ثقافية متباينة وقدرات إبداعية متعددة. ومن هذا المنظور توفر المدن ذات الموازييك الكونى فرصاً كثيرة وسريعة بلا شك من التفاعلات التكميلية هذه[1].

٤. رغم الاتجاه نحو تعزيز التكتلات والتجمعات فى ظروف العولمة، فإن هناك اتجاهًا معاكسًا نحو اللامركزية بدا واضحاً أيضاً فى أقسام معينة من الاقتصاد الجديد. وكلما استمرت تكاليف النقل والاتصالات على اتساع العالم فى الانخفاض نتيجة للعولمة، أصبح من الواضح أن يوكل المنتجون فى المدن الإبداعية إنجاز أنواع معينة من واجبات ومهام العمل أو حزم منها، إلى مراكز الإنتاج التى يتوافر فيها ظروف إنتاج لها مميزاتها. وهى مهام تشكل جانباً من عمليات أكثر مهارة وإبداعية تظل مركزة فى التكتلات الرئيسية، ويمكن تفكيكها بسهولة ليتم إنجازها فى مواقع محلية أخرى منخفضة التكاليف. والمثال على ذلك صناعات الملابس فى مدن مثل نيويورك ولوس انجلوس ولندن وباريس التى ارتبطت الآن وبعمق فى علاقات بين هذا النوع من التصنيع والتعاقد الفرعى مع قطاعات متباينة من أمريكا اللاتينية وآسيا وشمال أفريقيا.

(1) Meric. S. Gertler. Creative. Cities., What are they for? How They Work? What Do Build Them? Op. Cit.

وهكذا فالعولمة تزخر بالفرص والمخاطر بالنسبة للمدن الإبداعية، ويتطلب الأمر من صناع السياسة أن يكونوا حساسين تجاه الأعمال والأفعال التى قد تسمح لهم بتجنب المخاطر وزيادة الفرص(١).

ولعل أهم ما أثارته هذه التحليلات حول دبى بوصفها إبداعية، وتوجهها نحو اقتصاد المعرفة؛ كيف تشكل هذا الاقتصاد ومدى انتشار الصناعات التكنولوجية والثقافية؟ وإلى أى حد كان مدفوعاً بالابتكار ومهتماً بإقامة تكتلات وحريصاً على الشراكة الإبداعية من خلال الشبكات الإقليمية والدولية؟

٢) الإجراءات المنهجية لدراسة العلاقة بين المدن الإبداعية ورأس المال المعرفى (حالة دبي):

أفاد التحليل السابق لكتابات هوسبرز وياجيتكانا وجيرتلر ووندن ولازلو وفلوريدا وبرادفورد وناروولا وسكوت فى تحديد مفاهيم المدينة الإبداعية ورأس المال المعرفى واقتصاد المعرفة والتنمية القائمة على المعرفة، وسلط الضوء على قضايا العلاقة بين بنية المدينة الإبداعية ومكونات رأس المال المعرفى، وأهداف المدينة الإبداعية (جودة الحياة والتعليم)، وتشكيل رأس مال معرفى، وكيف يسهم فى التحول نحو اقتصاد المعرفة. وقد ساعدت هذه التحليلات على بلورة إشكالية البحث الحالى فى اختبار الفرضية "تسهم بنية المدينة الإبداعية فى نمو رأس مال معرفى ضرورى للتحول إلى اقتصاد المعرفة". وقد تم صياغتها فى مجموعة تساؤلات محددة، تساعد على اختبارها فى الواقع من خلال مجموعة إجراءات منهجية تنوعت بين الاستفادة من منهج إعادة التحليل وطريقة دراسة حالة إمارة دبي، حيث ساعد منهج إعادة التحليل فى إعادة قراءة نتائج الأبحاث السابقة والأدبيات ذات الصلة بالموضوع وتفكيك عناصرها وإعادة تركيبها على نحو يوفر مادة وبيانات تلقى الضوء على جانب من القضايا المذكورة، وأسهمت طريقة دراسة حالة إمارة دبي وتتبع تاريخ الإمارة وتحليل البيانات الإحصائية والسجلات والخطط والاستراتيجيات والمؤتمرات التى توافرت عن بنية إمارة دبي؛ رأس المال المعرفي، والتحول نحو اقتصاد المعرفة وغيرها من متغيرات ضرورية فى اختبار فرضية البحث. وقد أجرى البحث تحليلاته على مستويات متباينة، كونية بالمقارنة بالمدن الإبداعية فى العالم، ثم على مستوى متوسط وركز على بنية المدينة الإبداعية فى دبي وخاصة جودة الحياة والتعليم.

(1) Ibid.

والواقع أن اختيار دبي نموذجًا للمدن الإبداعية فى الدول النامية والعالم لم يحدث من فراغ لأن هناك شواهد جسدت هذا النموذج وهى:

- أشارت الأدبيات المرتبطة بمدن المعرفة والتنمية القائمة على المعرفة إلى نماذج لمدن المعرفة؛ عالمية مثل برشلونه ومانشستر وملبورن وغيرها من المدن التى تمكنت من تخطى مرحلة التخطيط إلى واقع التطبيق والممارسة، كما أشارت إلى بعض النماذج الإقليمية لمدن المعرفة مثل سنغافورة وماليزيا ومونترى، وذكرت بعض نماذج عربية لمدن معرفة مثل مدينة المعرفة الاقتصادية بالمدينة المنورة ومدينة دبي التى لا تزال فى بداية الطريق وفى انتظار جهود مختلفة تدعمها(١).
- تعد إمارة دبي كنموذج للمدن الإبداعية من أكثر المدن العربية والخليجية نموًّا، فقد تحولت من قرية صغيرة للصيادين مع ظهير صحراوى قاسٍ إلى فانتازيا عمرانية دينامية النمو رأسيًّا وأفقيًّا وتحول المشهد المعاصر للمدينة إلى مجموعة من المشاريع الاستثمارية الطابع، تجارية وسكنية ومدن ملاهى وناطحات سحاب خصصت مقاراً للشركات العملاقة. وتحولت دبي فى فترة وجيزة إلى علامة عمرانية Urban Brand تسابقت مدن الخليج ومدن عربية وآسيوية أخرى إلى محاولة تقليد هذا النموذج الكونى(٢).
- لقد شهدت دبي تحولات سريعة خلال الفترة مابين عامى (١٩٩٠–٢٠١٠) بحثاً عن عائدات غير نفطية من التجارة بين الموانى إلى التجارة التى جعلت منها محوراً لوجستيكيًّا للصناعات الحقيقية من خلال المنطقة الحرة (جبل على) وأخيراً إلى بناء اقتصاد معرفة.(٣)

---

(١) فرانشيسكو خافير كاريللو، مدن المعرفة، مرجع سابق: صفحات متفرقة (٩/٢٦–٤٦).

(٢) على عبد الرؤوف؛ الاندماج الاجتماعى بين مأزق الهوية وفخ العولمة؛ تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة فى : جدليات الاندماج الاجتماعى وبناء الدولة والأمة فى الوطن العربى (الدوحة قطر، المركز العربى للأبحاث ودراسات السياسة، ٢٠١٤).

(3) Dubai From Sand To Silicon, Growth of Creative Industries, The Dubai Experience <http://www.definitely dubai.com> Accessed oct 15, 2014.

المبحث الثانى – مدينة التكنولوجيا والثقافة وجودة الحياة فى دبي :

استنادًا إلى رؤية استراتيجية للقيادة السياسية فى دبي حدث تحول من التجارة إلى الخدمات، ثم إلى مجالات جديدة تقوم على اقتصاد المعرفة، اقتصاد مبنى على البحث والتطوير والتكنولوجيا والإعلام والتعليم والاتصالات والخدمات بمعنى أنه اقتصاد يجمع بين التكنولوجيا والثقافة ويقترب من نموذج المدن الإبداعية الذى رصدنا أمثلة لها فى التاريخ القديم والمعاصر، الأمر الذى سنزيده تفصيلاً عند الحديث عن تحول دبي إلى اقتصاد المعرفة. وننتقل مباشرة إلى الإجابة عن السؤال: مافرص التفاعل وأبعاد التنوع وأهم التحديات التى تواجه إمارة دبي؟ وما إمكاناتها فى تعزيز جودة الحياة والفرص أمام سكانها؟

١) مقومات مدينة التكنولوجيا والثقافة فى دبي :

أ- كثافة التفاعل فى دبى :

رغم أن إجمالى حجم سكان دبى لا يتعدى ٢,١٥٦ بالألف وأن الأفراد النشطين خلال النهار ٣,١٤٩ بالألف، فإن فرص التفاعل بين السكان تعددت بين تنوع مواقع السكن؛ حيث بلغ عدد المبانى المنجزة ٢,٤٢١ بالألف، كما تعددت وسائل النقل والمواصلات الجوية (حيث بلغ القادمون ٢٨,٤٥٧ ألف) والبحرية (حيث بلغ القادمون ١٢٤,٥١١ ألف) والبرية (وبلغ عدد رحلات ركاب الحافلات ١٠٧,٧٩٢ ألف) والبحرية، أما مترو دبى (فقد بلغ عدد رحلاته ٧١,٩١٥ ألفاً (الخط الأحمر) و١٩,٩١٧ (الخط الأخضر)، كما بلغ عدد النزلاء فى الفنادق (٧,٨٢٣,١١٧) مليون، وعدد النزلاء فى الشقق الفندقية (٢,١٣٤,٠٤٤). وتزايدت فرص التفاعل بين السكان فى دبى من خلال خطوط الهاتف والفاكس التى بلغ عددها (٤٥٣,٤٤٢) بالألف، وخطوط الهاتف المتحرك التى بلغت (٣,٧٢٤,٠٩٢)، وعدد خطوط الإنترنت التى بلغت (٣٣٢,٨٤٦) فى الألف[١].

وتعمل دبى على تنظيم المهرجانات والمناسبات لزيادة فرص التفاعل فى المدينة، حيث اشتهرت بمهرجان دبى للتسوق الذى يقام كل عام ابتداء من عام (١٩٩٦). وتضم دبى الكثير من المراكز التجارية والمرافق السياحية، وبلغ إجمالى عدد السياح العرب إلى دبى (٣,٢) مليون نزيل منهم (١,٥) مليون نزيل من دول الخليج العربى، فى حين بلغ عدد

(١) دبى فى أرقام، مركز دبى للإحصاء (حكومة دبى – دبى، ٢٠١٢).

النزلاء الأسيويين من الشرق الأقصى وجنوب آسيا (٣,١) مليون، ومن أوروبا (٢,٣) مليون ومن منطقة روسيا والبلطيق (٥١٠) آلاف، ومن الأمريكتين (٦٢٢) ألفاً ومن أستراليا ومنطقة الباسفيك (٢٢٢) ألف نزيل.[١]

ب- التنوع الثقافى والاقتصادى فى دبى :

ويتسم مجتمع دبى أيضاً بالتنوع الثقافى، سواء من حيث التنوع فى القوميات والسلالات، أو التنوع فى الديانات. ففى عام ٢٠١٣ كان هناك ما بين ١٠-١٥% من السكان من الإماراتيين، وما يقرب من ٨٠-٨٥% من الغرباء المقيمين. وكانت النسبة الغالبة من المقيمين ينتمون إلى جنسيات وسلالات آسيوية، فمنهم ٥١% من الهند و١٦% من باكستان و٩% من بنجلاديش و٣% من الفلبين وحوالى ٣٠٠,٠٠٠ صومالى، بالإضافة إلى مجموعات قومية أخرى. ويرجع أصول ربع سكان الإمارات إلى إيران، وهناك ما يقرب من (١٠٠,٠٠٠) بريطانى فى دبى كأكبر جماعة غربية فى المدينة[٢].

واتسع التنوع فى دبى ليشمل الاقتصاد بعد أن أدركت حكومة دبى الحاجة إلى تخفيض اعتمادها على صادرات النفط والغاز، وقامت ببناء بنيتها التحتية التجارية المتقدمة وقطاعاتها الصناعية والزراعية، وإنشاء منظومة تصدير عملاقة واستثمارات "المناطق الحرة" لاستضافة الشركات الأجنبية إلى جانب تأسيسها لمجالى السياحة والترفيه والعقارات. وبالتوازى مع استراتيجية المناطق الحرة التزمت دبى أيضاً ببناء صناعة السياحة الدولية وبحلول عام (٢٠٠٨) ومع بناء مئات الفنادق، كانت الإمارات تستضيف أكثر من (٦) ملايين سائح سنوياً. وبحلول عام (٢٠٠٨) نجحت دبى فى تنويع اقتصادها حيث بلغت نسبة القطاعات غير النفطية أكثر من ٩٥% من إجمالى الناتج المحلى[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) إمارة دبى، ويكيبديا الموسوعة الحرة

<http://www.wikipedia,org/wiki.> accssed Oct 5, 2014.

(٣) كريستوفر ديفيد، نموذج دبى، التنويع والتباطؤ، فى الاقتصاد السياسى لمنطقة الخليج، التقرير الموجز لمجموعة العمل (مركز الدراسات الإقليمية والدولية، كلية الشئون الدولية بجامعة جورج تاون فى قطر، تقرير (٣)، ٢٠١٢.

ج- دبى والتعامل مع التحديات والأزمات :

إن نموذج دبى الذى تأسس أصلاً على التجارة وبعض الخدمات، وكذلك المناطق الحرة، كان بالفعل قد حقق بعض النجاحات فى السنوات التى امتدت حتى بداية الألفية الثالثة. إلا أنه بعد ذلك أخذ منعطفاً سلبياً اتصف بطفرة عقارية غير مبررة غذتها الزيادة فى أسعار النفط، وكذلك تدفق الأموال الأجنبية المضاربة. وهكذا تحول هذا النموذج من نموذج قابل للتطور والتقليد فى المنطقة إلى نموذج يهمش الدور الاقتصادى للمواطن. ومن ثم أصبح عبئاً على الدولة وخاصة عندما انفجرت الفقاعة العقارية وأظهرت حجم المديونية التى وقعت فيها إمارة دبى وانعكاسات كل ذلك على استقرار وازدهار الدولة فى السنوات القادمة. ولكن هذا لا يعنى أن الأزمة المالية الأخيرة بمنزلة الضربة القاضية لنموذج دبى، فهناك نقاط قوة فى هذا النموذج كالتجارة والخدمات وكإدارة الموانى وطيران الإمارات، وبعض الصناعات كالألومنيوم، التى لم تتأثر كثيراً خلال هذه الأزمة(١).

وارتبط بالأزمة المالية فى دبى، تحدٍّ آخر، تمثل فى أن نموذج دبى الذى اعتمد على الصورة والشكل والرسالة البصرية التسويقية أكثر من اعتماده على مفاهيم تنموية مستدامة، سبب خللاً واضحاً فى ما حدث فى المدينة الخليجية فى الأعوام الأولى من القرن الحادى والعشرين، خصوصاً فى ما له صلة بالتفسيرات الظاهرية السطحية لأطروحات العولمة والتعامل القشرى مع القيم المحلية وما يتبعها من قضايا المواطنة والهوية، الأمر الذى جعل البعض يعتقد أن دبى قد فقدت روح المدينة الخليجية العربية وتحولت إلى معمل مفتوح لاختبار وتطبيق موضات وطرز معمارية غريبة لتدعيم هويتها الجديدة كمدينة عالمية. ومن ثم أوجدت بيئة معمارية وعمرانية مليئة بالأوهام والفانتازيا المنفصلة جذرياً عن البيئة المكانية أو الثقافة الخاصة بالإمارة(٢).

---

(١) يوسف خليفة اليوسف، الإمارات العربية على مفترق طرق (المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، السنة السادسة والثلاثون، العدد الثانى عشر بعد الأربعمائة، يونيو ٢٠١٣، ص ص ٣٨-٣٩).

(٢) على عبد الرؤوف؛ الاندماج الاجتماعى بين مأزق الهوية وفخ العولمة؛ تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، مرجع سابق، ص ص ٤٥٧-٤٦٠).

وعلى الرغم من التنمية المطروحة فى الخليج، فإن قياسات المنظمات البيئية العالمية تعكس واقعاً كارثياً فى معدلات الاستهلاك للطاقة والمياه والانبعاث الكربونى فى دول الخليج الستة، فعلى سبيل المثال، مدينة دبى التى يقطنها ثلث سكان الإمارات يبلغ معدل الانبعاث الكربونى للشخص الواحد المركز الثانى بعد الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن معدل استهلاك سكان الإمارات للطاقة يبلغ أكثر من ضعف المتوسط العالمى، كما أن الشواطئ البحرية تعرضت لتعديات لا تعالجها مشاريع التنمية العقارية والفندقية والأعمال المنظمة لردم الخليج(١).

وهكذا يمكن القول بأن تعدد صور التفاعل فى إمارة دبى وكثافة التفاعلات بالإضافة إلى اتسامها بالتنوع الاجتماعى العرقى والسلالى والثقافى والاقتصادى، وما تعرضت له من قلاقل وأزمات وتغلبها على كثير من التحديات، يدلل بوضوح على أن بنية إمارة دبى يتوافر فيها كثير من المقومات التى استندت إليها باعتبارها مدينة إبداعية تجمع بين التكنولوجيا والثقافة.

٢) المدينة الذكية وجودة الحياة فى دبي :

أ- جودة الحياة فى دبي :

لقد وضعت دبى خطة استراتيجية تعتبرها برنامجاً للعمل يحدد التوجهات المستقبلية والغايات الاستراتيجية، ركزت على خمسة محاور رئيسة تشمل مجالات التنمية ومناحى الحياة، بما فيها التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والبيئة والأمن والعدل والتميز الحكومى كافة وتتضمن استدامة النمو والازدهار والمحافظة على الأمن والصالح العام ونوعية وجودة الحياة للمواطنين والمقيمين وتحقيق العدل والمساواة. ومن أهم المعايير الاستراتيجية التى من خلالها سيتم تحقيق غايات التنمية الاقتصادية ضمان تميز القوى العاملة فى دبى وتحقيق تكاملها مع التوجه الاقتصادى من خلال استقطاب العمالة ذات المهارة العالية والحفاظ عليها وتحسين الكفاءة لدى المواطنين وزيادة حوافزهم. وكذلك من خلال الاهتمام بالعلوم والتكنولوجيا والابتكار وتحويل دبى إلى مركز علمى وتقنى، وأيضاً معالجة ارتفاع تكلفة المعيشة، هذا بالإضافة إلى الارتقاء بجودة الحياة وجعل دبى وجهة مفضلة للمقيمين الحاليين والمرتقبين عبر تحسن رفاهية حياة المواطنين والمقيمين ومساعدتهم على أن يعيشوا حياة أفضل غنية بالفرص والخيارات(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٢) ملامح خطة دبى الاستراتيجية (٢٠١٥) دبى حيث يبدأ المستقبل؛ الموقع الرسمى للأمانة العامة للمجلس التنفيذى لإمارة دبى.

<http: //www.tec.gove.ae/tec/images/pdf/dsp arpdf> accessed Oct., 20, 2014.

ب- المدينة الذكية فى دبي :

كما وضعت دبى رؤيتها لتصبح المدينة الأذكى فى العالم عبر السنوات الثلاث الأخيرة وأقامت خطتها فى ذلك بناء على ستة أعمدة، حياة ذكية ووسائل نقل ذكية ومجتمع ذكى واقتصاد ذكى وحكومة ذكية وبيئة ذكية. وفى (١٥) سبتمبر ٢٠١٤ نظم مؤتمر دبى مدينة الحياة الذكية واشتملت أجندة المؤتمر على عدة قضايا: اهتم بعضها بإقامة نظام اقتصادى ذكى: لأن دبى قد انتهت فعلاً من وضع الأسس، وكان عليها أن تعمل على الربط بين كل القطاعات العامة والخاصة والتعليم والأعمال وريادة الأعمال معاً. وتناول المؤتمر قضية البيانات والمعلومات الضخمة وحلول الحكومة الذكية وأن تكون قادرة على إدارة المعلومات ذات المغذى والقيمة، والعمل بناء عليها وإنجازه فى الوقت المناسب. كما ركز المؤتمر على قضية التنمية العمرانية باعتبار المدينة الذكية هى محصلة للتنمية العمرانية الذكية والتكنولوجيا والإدارة الذكية والسكان الأذكياء. باعتبار هذه هى الطريقة الوحيدة للمدينة الذكية لكى تحافظ على هويتها وطابعها كمدينة يعيش فيها السكان معاً فى بيئة مجتمعية مناسبة. كما اهتم المؤتمر بقضايا النقل والحركة بوصفها واحدة من أكثر الجوانب أهمية فى حياة المدينة الذكية، واهتم المؤتمر بقضية المياه والكهرباء لأن الانتفاع بها وكفاءة استخدامها يلعب دورًا هائلاً فى المدينة الذكية خاصةً فى دبى حيث ندرتها وتكلفة إنتاجها. وتطرق المؤتمر لقضية مستقبل التعليم باعتباره العمود الأساسى للمجتمع الذكى والمدينة، وكيف يمكن لدبى أن تصبح قائدًا تعليميًا ويقل اعتمادها على المواهب الوافدة، كما ناقش المؤتمر قضية إيجاد محورٍ للابتكار Innovation Hub، وأن يقوم العمل بين التنظيمات على هيئة الشبكة ... إلخ[1].

وتستخدم المدينة الذكية بيانات إلكترونية متكاملة وتتصل ببعضها عن طريق منظومات معلوماتية وشبكات متزامنة لتعمل على تنظيم أمور المدينة بالاعتماد على الحواسيب والبرامج الخاصة من خلال شبكة الإنترنت وتكنولوجيا الحوسبة السحابية؛ وذلك لإدارة المدينة وشئونها البلدية والتعليم والرعاية الصحية والأمن العام والمرافق، كما تستعين فى ذلك بأجهزة وأدوات استشعار موزعة فى كل المواقع الحيوية والرئيسة فى الإمارة من أجل تقديم خدمات أكثر كفاءة، وتوفير كل المعلومات والخدمات بطريقة غير محسوسة وبدقة عالية وتربط السكان بمدينتهم. وتقوم المدينة الذكية بتوفير معلومات لسكانها حول ما يمس

(1) Smart Living City: Dubai 2014.
<http: //www.smart Livine city.com> accessed Nov 20, 2014.

شئون حياتهم مثل حالة الطقس وحركة السير والنقل والطوارئ وخدمات ذكية فى التعليم والصحة، بالإضافة إلى توفير خدمات ترفيهية وسياحية، كالمطاعم الذكية وخدمات الطيران والمرور الذكية، وكذلك تهتم المدينة بإدارة الخدمات الاقتصادية المقدمة للمستثمرين ورجال الأعمال بطريقة ذكية ومترابطة كخدمات البورصة الذكية والموانئ والجمارك الذكية وغيرها. وفى إطار تطبيق الرؤية الاستراتيجية لحاكم دبى، أعلنت دائرة حكومة دبى الذكية عن إطلاقها النسخة المحدثة من تطبيق الدفع عبر الهواتف الذكية mpay الذى تشترك فيه أربع جهات حكومية هى هيئة كهرباء ومياه دبى، وهيئة الطرق والمواصلات وشرطة دبى واتصالات دبى، متيحاً لهم وبخطوة واحدة تنفيذ خدمات حكومية أساسية هى دفع الفواتير وشحن وتعبئة الرصيد وتسديد المخالفات المرورية. وقد شهد تطبيق الدفع عبر الهواتف الذكية معدلات إقبال متزايدة من الأفراد والمؤسسات، وبلغت قيمة المبالغ المحصلة عبر هذا التطبيق ١٥,٥ مليون درهم خلال الفترة من يناير– أكتوبر ٢٠١٣، وتشارك عدة بنوك فى دبى فى هذا التطبيق والخصم من حساب العميل وبطاقات الائتمان ... الخ(١).

وهكذا توضح الشواهد أن هناك مظاهر متعددة لتعزيز جودة الحياة والفرص أمام السكان فى دبى تمثلت فى جعل دبى وجهة مفضلة للمقيمين الحاليين والمرتقبين، ومساعدتهم على أن يعيشوا حياة أفضل غنية بالفرص والخيارات، أضف إلى ذلك خطة تحويل دبى لتصبح المدينة الأذكى فى العالم بناء على ستة أعمدة حياة ذكية ووسائل نقل ذكية ومجتمع ذكى واقتصاد ذكى وحكومة ذكية وبيئة ذكية بهدف تحسين الحياة وتسخير التكنولوجيا لصنع واقع جديد فى المدينة وحياة مختلفة ونموذج جديد فى التنمية.

ويمكن القول بناء على ذلك أنه يتوافر فى دبى كمدينة إبداعية العنصر المادى والبيئة التحتية للتعلم وابتكار المعرفة. ويظل هناك سؤال عن العنصر المعنوى ومجتمع التعلم وثقافة التعلم والإبداع والتجديد، وربط دبى بأهداف التنمية القائمة على المعرفة وتبنى التوجه الاستراتيجى الموحد الذى يعمل على توليد هذه الأنواع المختلفة من رأس المال وفى مقدمتها رأس المال المعرفى؟

---

(١) التغيير الذكى الشامل قادم، مجلة تقنية للجميع C4 all العدد ١٢١، نوفمبر ٢٠١٣، حكومة دبى.

<http://www.dsg.gov.ae.> accessed oct, 10, 2014.

المبحث الثالث – جودة التعليم العالى فى دبي ونمو رأس المال المعرفى :

١) رأس المال المعرفى فى دبي :

هناك فى إمارة دبى ٣٨٠٠ شركة اتخذت مواقع لها فى المنطقة الحرة للتكنولوجيا والإعلام، وثمة شبكة علاقات تربط بين حوالى ١٢٠٠ شركة منها، وتستخدم هذه الشركات ١٥,٠٠٠ من العاملين فى مجال الإبداع والابتكار Creative Workers، واستضافت مجموعة فعاليات كبرى فى مجالات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعرفة تعمل على تفريخ المواهب والمشروعات الإبداعية[1]. وتشكل هذه الشرائح المهنية جانباً كبيراً من رأس المال المعرفى فى دبى، الذى يعتمد على الخبرات الوافدة. وربما اشتملت على شرائح من طبقة المبدعين من العلماء والمهندسين وأساتذة الجامعات والشعراء والكتاب والفنانين والممثلين والمهندسين المعماريين وقادة الفكر والشخصيات الثقافية والباحثين فى المراكز الاستراتيجية والكثير من العاملين فى المهن القائمة على المعرفة فى قطاعات التكنولوجيا المتقدمة والخدمات المالية، ويضاف إليهم أصحاب مهارات التصميم والجرافيك والمصممون الصناعيون والعاملون فى مجالات الفنون كالرسامين والمصورين، والعاملون فى نشاطات البحث والتطوير وغيرهم. **لكن ماذا عن مجتمع التعلم وثقافة التعلم والإبداع والتجديد فى دبى؟ وما الإسهام الذى يقدمه التعليم فى دبى فى تعزيز رأس المال المعرفى؟**

٢) جودة التعليم العالى فى دبي :

لقد أدركت دبى الحاجة إلى تغيير استراتيجياتها فى الاستثمار الذى يقود إلى النمو وتطوير الاقتصاد القائم على المعرفة على المدى القصير والطويل. ومن الطبيعى مع هذا التحول أن يلعب قطاع التعليم دوراً محورياً: لأن الاقتصاد القائم على المعرفة يقوم على التعليم، ويعتمد نجاحه إلى درجة كبيرة على قدرته على تعليم وتدريب قوة العمل التى يحتاجها الطلب المتزايد للأسواق، كما تتحدد إنتاجيته وقدرته التنافسية على وجود كيانات تعليمية رسمية متطورة، وأسواق عمل وتدريب فى أثناء العمل داخل الشركات والأعمال. ومع انتقال دبى على نحو متزايد تجاه الاقتصاد القائم على المعرفة، أصبح تطوير منظومة

(1) Dubai From Sand to Silicon, Growth of Creative Industries, The Dubai Experience. Op. Cit.

التعليم أمراً ملحاً. والواقع أن التعليم فى دبى قد تطور بسرعة ملحوظة فى العقود الثلاثة الأخيرة. وفى أقل من ثلاثين عاماً حولت دبى قطاع التعليم بها من مجموعة ضعيفة من المدارس إلى قطاع تعليمى دينامى. ورغم أن إتاحة فرص التعليم قد تزايدت على نحو ظاهر فإن جودة هذا التعليم لم تحقق تقدماً بالسرعة نفسها. ولقد بدأت الحكومة حديثاً فى وضع مقاييس لتحسين الجودة، إلا أن هذه المقاييس محدودة أو تعتبر فى مراحلها الأولى حتى يمكن تقييمها على نحو مناسب. وقد بدأت الحكومة الاتحادية أيضاً الاهتمام بمعالجة القيود الشديدة أمام التعليم العام والجامعات الوطنية[١]. وربما كان علينا أن نتوقف أمام جودة التعليم العالى فى إمارة دبى، خاصة وأن جامعات دبى والإمارات المتحدة رغم أنها لا تزال شابة فإن الحكومة قد عينت لها دوراً بارزاً كحجر أساس فى الاقتصاد القائم على المعرفة. ورغم أن القبول بالتعليم العالى قد تم التوسع فيه على نحو ملحوظ فى العقود الأخيرة فى دبى حيث يشير تسجيل ٣٨,٠٠٠ من الطلاب فى الجامعات العامة والخاصة إلى جهد واضح من المجتمع نحو تعزيز رأس المال البشرى رغم ذلك فلا تزال معدلات القبول أقل من المعايير الدولية ومتطلبات الاقتصاد القائم على المعرفة. ومع أن معدلات القبول قد تزايدت من ١٧% عام (١٩٩٩) إلى ٢٥% عام (٢٠٠٨)، فإنها أقل مما حققته الدول المتقدمة والدول النامية مثل بلدان أمريكا اللاتينية، التى بلغت ٥٠ و ٣٥% على التوالى، مع الأخذ فى الاعتبار أن حجم سكان دبى قد تضاعف فى الفترة الزمنية نفسها، وكان المتوقع حدوث نمو مصاحب بين طلاب التعليم العالى. كما كان التسجيل بين المواطنين غير متجانس فى عام ٢٠١٠، إذ بلغت النسبة بين الإناث ٧٠% وبين الذكور حوالى ٢٥%. ومع أهمية التوسع فى القبول، فإن الجودة لم تتحسن بالمعدل نفسه. وحسب المقاييس الدولية فإن جامعات دبى تخلفت عن الجامعات فى بلدان عربية أخرى مثل المملكة العربية السعودية ومصر وتونس، وكذلك تخلفت على نحو واضح إذا ماقورنت ببلاد على المستوى نفسه من متوسط دخل الفرد، مثل سنغافورة وهونج كونج وتايوان. وقد تم حديثاً قيام تنظيمات مختلفة بتطوير مؤشرات على أداء التعليم العالى عبر نطاق واسع من الدول، ومن بين أكثرها شهرة الترتيب الأكاديمى لجامعات العالم (ARWA)[٢]. وليس هناك جامعة واحدة فى دبى ظهرت

(1) Raimundo Soto. ((Education in Dubai From Quantity to Quality)) (Dubai Economic Council, wp: Os – 12, 2012), pp. 5-8.
(2) Ibid, pp. 17-18.

بين أعلى ٥٠٠ جامعة فى العالم، فى حين ظهر فى الشرق الأوسط بعض جامعات المملكة العربية السعودية وتركيا ومصر، وكانت جامعة الإمارات العربية المتحدة فى العين قد وصلت فى الترتيب إلى الرقم (٣٧٢) بين ٤٠٠ جامعة طبقاً لمسح (QS) فى ترتيب جامعات العالم. وهناك مقياس بديل لجودة البحث يتم بناء على عدد ما تم نشره فى الدوريات العلمية وحسب أحدث التقارير العربية للمعرفة الذى أصدره عام (٢٠٠٩) برنامج الأمم المتحدة الإنمائى (UNDP)، الذى أشار إلى أن دولة الإمارات العربية تخلفت بشكل ملحوظ وراء معظم بلدان المنطقة مع أنها كشفت عن تيار إيجابى؛ إذ بلغ ما تم نشره سنوياً من أعمال علمية بواسطة باحثين فى دولة الإمارات (٥٠٠) مقال فى الفترة ما بين (١٩٩٢–٢٠٠٢)، وزاد إلى (٢٠٠٠) مقال فى الفترة ما بين (٢٠٠٨–٢٠٠٩)، وعند مقارنة البحث العلمى بدول مثل هونج كونج وسنغافورة، فإنه فى الإمارات لا يزال عند مرحلة الطفولة. أما ما يتعلق بكم وجودة البحث فى جامعات دبى فهو غير مناسب؛ طبقاً لمؤشر الاقتباسات العلمية (ISI). وفى إطار مؤشرات الأداء هذه، فإن نظام التعليم العالى فى دبى لا يبدو أنه قادر على المنافسة حقاً طبقاً للمعايير الدولية، وهناك أسباب عديدة لعل أهمها أن جامعات دبى لا تزال فى مرحلة الشباب نسبياً، وبخاصة فروع الجامعات الدولية التى قد بدأت حديثاً نشاطها التعليمى فى دبى. لأن معظم هذه الجامعات تركز فى الغالب على التدريس لمستويات الحصول على الدرجة الجامعية الأولى، واقتصر البحث والتشبيك مع الصناعة على أدوار ضئيلة وفى أبعاد غير ذات أهمية. والغالبية الكبرى من الجامعات فى دبى تقدم فعلاً برنامجاً واحداً أو أثنين من درجات الماجستير المهنية فى إدارة الأعمال أو تكنولوجيا المعلومات، وقد أنتجت المادة والمحتوى لهذه البرامج فى الخارج وليس فى جامعات دبى. والمحصلة أنه ليس من المدهش ألا يكون للبحث والابتكار وجود ملحوظ[1].

وهناك قضية أخرى مقلقة تتعلق بأداء الجامعات فى دبى هى التركيز الحصرى على إدارة الأعمال والدين وتكنولوجيا المعلومات على مستويات الطلاب المتخرجين graduated أو الذين لم يتخرجوا بعد undergraduated ؛ حيث كان هناك طبقاً لإحصائيات (٢٠١٠) ٥٥% من بين كل الخريجين فى دبى تخصصوا فى إدارة الأعمال، فى حين تخصص ٢٥% مقسمة مناصفة بالتساوى بين مجال الدراسات الدينية وتكنولوجيا المعلومات. وهناك

(1) Ibid, pp 19-20.

أقل من ١% تخصصوا فى علوم الطبيعة أو الفيزياء أو التربية. وأكثر من ذلك، وبسبب أن تكاليف القبول والتسجيل ليست منخفضة، تميل الجامعات إلى التركيز على البرامج قليلة التكاليف وتتجنب النظم الفكرية (العلوم) التى تتطلب استثماراً ثقيلاً (مثل المستشفيات التى تحتاجها كليات الطب، أو المعامل التى تحتاجها العلوم الطبيعية). وفى الواقع، لا تملك دبى إلا برامج بحث قليلة للغاية من التى توفر عرضاً من الباحثين المهرة والعلماء الذين يحتاجهم التحول إلى الاقتصاد القائم على المعرفة، ولا يحتمل أن توفر المعاهد التى أنشئت حديثاً هذه الدرجات فى المستقبل. ولذلك، فسوف تستمر دبى فى الاعتماد على الخبرات المستوردة لدعم قدراتها على البحث والتطوير فى المستقبل المنظور. وبينما تجاوز أداء دولة الإمارات العربية المتحدة المتوسط فى الحوافز الاقتصادية وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، فقد حقق تفوقاً هامشياً فى التعليم وتراجع فى الابتكار، وهذه النتائج يحتمل أن تكون محصلة الجهود التى تبذلها الحكومة فى مجال توفير بيئة الأعمال وتحسين البيئة التحتية فى المعلومات والاتصالات. أما الضعف النسبى على مؤشرات التعليم والابتكار فإنه يتلاءم مع الجودة المنخفضة للتعليم[١].

المبحث الرابع – دبي والتحول نحو اقتصاد المعرفة :

والسؤال هنا: ماذا عن توجه دبى نحو اقتصاد المعرفة؟ وكيف تشكل هذا الاقتصاد؟ وما مدى انتشار الصناعات التكنولوجية والثقافية؟ وإلى أى حد كان مدفوعاً بالابتكار ومهتماً بإقامة تكتلات من خلال الشبكات الدولية؟

١) تشكل اقتصاد المعرفة وانتشار الصناعات التكنولوجية والثقافية فى دبي:

إذا كان من الملاحظ فى الأعوام الأخيرة أن استثمارات ضخمة بدأت تتوجه لخلق مراكز اقتصادية معرفية، فإن (دبى) قررت التوجه نحو اقتصاد المعرفة منذ حوالى عقد كامل، وهو توجه استراتيجى دعمته قيادات الأسرة الحاكمة، كرد فعل للانحسار التدريجى لاقتصاد النفط، والبدء فى سياسة التنوع الاقتصادى[٢].

(1) Ibid, p. 22.

(٢) على عبد الرؤوف، الاندماج الاجتماعى بين مأزق الهوية وفخ العولمة، مرجع سابق.

وأنشأت دبى ثلاثة مشاريع كبرى هى مدينة دبى للإعلام ومدينة دبى للإنترنت وقرية المعرفة، وتقع جميعها فى نطاق منطقة دبى الحرة للتكنولوجيا والإعلام. وتركز مدينة دبى للإعلام (DMC) فى استراتيجيتها على أقسام معينة من النشاط الإعلامى مثل القنوات الفضائية وشركات العلاقات العامة والأبحاث التسويقية والتجارية، ودعمت المدينة بشركات النشر الكبرى والصحف العربية المتمركزة خارج الوطن العربى، وانتقل إليها بعض الفضائيات العربية مثل قناة MBC وفرع لقناة C.N.N الإخبارية ووكالة رويترز للأنباء قسم الشرق الأوسط، وتركز المدينة على الإعلام الرقمى والإنتاج السينمائى[١]، واهتمت بالإعلان والفنون والتصميم والسينما والفيديو والتصوير وبرامج الكمبيوتر والألعاب الإلكترونية، وفنون الموسيقى والأداء والنشر والتلفزيون والإذاعة[٢]. أما مدينة دبى للإنترنت، فتهدف إلى استقطاب أصحاب الأفكار الجديدة فى عالم الإنترنت، والمشاريع المتميزة وتمويلها، للتفاعل مع العقول المحلية، حيث نقلت شركة مايكروسوفت وحدة التعريب من مدينة سياتل الأمريكية إلى دبى، وهى وحدة تضم قرابة ٢٠٠ مترجم ومبرمج، واستضافت المواقع الإلكترونية والنشر الفضائى وخدمات الإنترنت، إلى جانب وجود نشاطات مكملة مثل المطاعم والبنوك ووكالات السفر وتأجير السيارات والصيدليات والعيادات والسوبر ماركت والجمانزيوم، وصالونات التجميل، على نحو يسهل حياة المنتمين إلى المدينة[٣]. وقد نشطت مدينة دبى للإنترنت فى مجالات إنتاج برامج الكمبيوتر والألعاب الإلكترونية والنشر الإلكترونى. وتهدف قرية المعرفة (KV) إلى إقامة مجتمع معرفى متكامل قادر على إثراء عملية التعلم ببناء قاعدة تعليمية متطورة بغرض تحقيق هدف استراتيجى يتمثل فى صقل الطاقات الإبداعية وزيادة أعداد المتخصصين فى مجال العمل المعرفى. وقد بدأ المشروع عام ٢٠٠٢، وتضمن أكاديمية الإعلام وفروع الجامعات والمعاهد الأجنبية ومركز الإبداع ومركز التعلم الإلكترونى ومؤسسات الأبحاث ومكتبات الوسائط المتعددة ومراكز تدريبية وتعليمية لشركات تقنيات المعلومات وجمعيات علمية وفنية[٤]. وتشمل قرية المعرفة صناعات إبداعية فى مجال

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٤٦٢-٤٦٧.

(2) Dubai From Sand to Silicon, Op.Cit.

(٣) على عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص ص ٤٦٧-٤٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٦٨.

تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مثل خدمات التسويق والإعلام والإذاعة والأفلام، والإعلام الجديد وبرامج الكمبيوتر والتجارة الإلكترونية وتصميم المواقع والاتصالات التليفونية والوسائط المتعددة، والاستشارات بالإضافة إلى صناعات إبداعية فى مجال المعرفة كالتعليم الإلكترونى والتنمية الإدارية والتدريب على الإعلام وتكنولوجيا المعلومات ومراكز الإبداع والتجديد والبحث والتطوير والبنية التحتية الأكاديمية ... إلخ(١).

وتستضيف قرية المعرفة فى دبى حالياً ٢٠٠ شركة تتضمن جامعات عالمية ومؤسسات أكاديمية للتعليم على الإنترنت وموردين للتعليم الإلكترونى إضافة إلى مراكز بحوث وتطوير ومراكز اختبار وابتكار وتدريب مهنى. ومن المؤسسات الأعضاء وشركاء قرية المعرفة؛ الكلية الأمريكية فى دبى وجامعة ولنجونج الأسترالية، ومعهد ميرا للعلوم والتكنولوجيا، ومعهد وجامعة بيرسل، وجامعة هيرواتى، وجامعة ازاد الإسلامية، وجامعة مهاتما غاندى، وجامعة مدل سكس، وجامعة نيويرانسويك وجامعة ولاية سانتى بيتربرج للاقتصاد والجامعة البريطانية، والأكاديمية المالية للإدارة المالية، ومعهد ايتون التعليمى(٢).

٢) الابتكار والتكتلات والشراكة الدولية فى اقتصاد دبي :

أما فيما يتعلق بالابتكار والتكتلات فقد عملت دبى على جذب استثمارات ضخمة فى كل من البنية التحتية الملموسة وغير الملموسة (Hard & Soft). وكانت الخطوة التالية أن تتحول من الاقتصاد المدفوع بالاستثمار إلى الاقتصاد المدفوع بالابتكار. والابتكار مفهوم واسع يشتمل على تطوير منتجات جديدة وعمليات واستراتيجيات وأشكال تنظيمية، واستخدامها على نطاق واسع. ويترتب على الابتكارات الكبرى نتائج اقتصادية ضخمة، ولذلك فإنه من المهم على دولة دبى أن تبدأ توليد تيار الإبداع الخاص بها، وأن تجعله قابلاً للتداول تجارياً داخل وخارج البلاد. وتركز الكتابات الحديثة حول الابتكار الذى يتم من خلال الشراكة بين الشركات من ناحية، وبين الشركات وكل من يستخدم ابتكاراتها من ناحية أخرى، وذلك استناداً إلى حقيقة أن المعرفة يتم توزيعها على نطاق واسع، وأن الشركات المهتمة بالابتكار تتفاعل مع بيئة الأعمال المحيطة بها التى تضم الأسواق الكونية والتكتلات المحلية.

---

(1) Dubai From Sand to Silicon, Op. Cit.

(٢) قرية المعرفة بدبى، ويكيبديا، الموسوعة الحرة.

<http:www.wikipedia, org/wiki> accessed Oct 5, 2015.

ونادراً ما يحدث الابتكار فى فراغ؛ إذ تعمل الشركات ورواد الأعمال على الاستجابة لحاجات العملاء والنظم الجديدة وهكذا. وغالباً ما تعتبر الأفكار الجديدة والمنتجات والعمليات، التى تصبح ناجحة بالفعل فى الأسواق، محصلة لعملية تفاعل مستمرة بين الشركات والهيئات الأخرى فى بيئة الأعمال المحلية والإقليمية، ومن أهمها تجمعات فى المدينة، مثل ما نلاحظه فى دبى، وما تعبر عنه من تنوع، والتكتلات التى تضم صناعات مرتبطة ببعضها، وتنظيمات، كما هو الحال فى هوليوود ووادى السيلكون. وفى هذا النوع من التكتلات تقيم الشركات تعاوناً مكثفاً وعلاقات وثيقة بالتنظيمات الأكاديمية وغيرها داخل تكتل الابتكار حيث تميل ابتكارات التكنولوجيا الفائقة إلى إقامة تعاون وثيق مع الجامعات وغيرها من هيئات علمية(١).

أما فيما يتعلق بتنمية التكتل Cluster Development، ودمج العملاء Customer، فهناك طاقم أو مجموعة دعم الخدمات المقدمة لنشاطات الأعمال تضم تنمية وتشبيك العلاقة بين هذه النشاطات وتنمية شخصية رائد الأعمال وصالات عرض المواهب ونشاطات الأعمال ونظمًا للمعلومات واتصالات وتغذية مرتدة وقضايا اجتماعية وأحداثاً(٢).

كما أن هناك أمثلة على ارتباط قطاعات وصناعات الاقتصاد الجديد بالاقتصاد الكونى من خلال الشبكات الدولية والشراكة الإبداعية والصفقات والتحالفات والإنتاج المشترك، يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ الشراكة بين مهرجان دبى السينمائى الدولى ومؤسسة الشارقة للفنون وآرت دبى، وهى شراكة تجمع بين أحد أهم المنصات السينمائية (مهرجان دبى السينمائى الدولى) مع أكبر مؤسسات الثقافة والفنون فاعلية فى المنطقة (مؤسسة الشارقة للفنون) وآرت دبى حيث تنطلق مبادرة "صور تتحرك"، المكرسة للأفلام الفنية وفن صانعى الأفلام لتأخذ طابع الشراكة طويلة الأمد بين الكيانات المذكورة، وتتضمن سلسلة من العروض السينمائية والحوارات التى تفضى إلى تبادل الخبرات والأفكار(٣).

---

(1) Orjan Solvell. ((Along-Term Strategy for Dubai Building Innovation and Clusters)). (Dubai Economic Council, 2009), pp. 5-6.

(2) Dubai From Sand to Silicon, Op.Cit.

(٣) صور تتحرك "شراكة جديدة بين "مهرجان دبى السينمائى الدولى و"مؤسسة الشارقة للفنون وآرت دبى".

<http://www.dubai,ae/press. Images? year 2014> accessed Nov 10, 2014.

وجمع معرض تكنولوجيا الروبوت RTEX بين شركاء متنوعين من قطاع الصناعة (الرابطة الدولية لنظم النقل الآلية) Auvsi والجامعات المحلية جامعة ولنجنوج بالإضافة إلى الهيئات الداعمة الأخرى مثل وسائل الإعلام والمناسبات إكسيو ٢٠٢٠ Expo 2020 وغيرهم. ولما كانت حكومة دبى تطمح إلى الاستثمار فى أحدث الإبداعات والابتكارات العلمية وتدعم الأفكار الجديدة والتحول نحو الاقتصاد المعرفى، فإن معرض ريتكس دبى يجمع المعرفة والتكنولوجيا من جميع أنحاء العالم فى هذا الحدث الذى يضم عرضاً لأحدث الابتكارات فى مجال الروبوت والتشغيل الآلى ويقدم فرصة مميزة للشركات والمستثمرين للتحول إلى سوق جديد عن العلوم والتكنولوجيا(١).

الخاتمة – النتائج العامة وخيارات للمستقبل :

١- يذخر التاريخ بنماذج متباينة من المدن الإبداعية من أمثلتها مدن التجديد التكنولوجى مثل ديترويت ومانشستر وجلاسكو قديماً، ووادى السيلكون وكامبريدج حديثاً، وتعتبر المدن الثقافية نموذجًا ثانيًا للمدن الإبداعية مثل أثينا وباريس وفيينا وبرلين قديماً، وكمبريدج وبوسطن حديثاً، أما النموذج الثالث من المدن الإبداعية فيمثله مدن التكنولوجيا والثقافة، مثل هوليوود وبوليو وباريس وميلانو قديماً، وتورينتو واستن وهامبورج حديثاً، ويتمثل النموذج الرابع فى مدن التنظيم والتكنولوجيا، مثل روما وباريس واستوكهولم قديماً وفيلادلفيا وباريس حديثاً. وتقترب دبى من نموذج المدينة الإبداعية وخاصةً النموذج الثالث المتمثل فى مدن التكنولوجيا والثقافة، حيث إنها تحولت فى فترة وجيزة إلى علامة عمرانية تسابقت مدن الخليج وغيرها على تقليدها والوصول إلى النموذج الكونى، هذا بالإضافة إلى خلق اقتصاد معرفة مبنى على البحث والتطوير والتكنولوجيا والإعلام والتعليم والاتصالات والخدمات.

٢- تأسس نموذج مدينة التكنولوجيا والثقافة فى دبى بناء على مقومات المدينة الإبداعية، من تفاعل وتنوع وتحديات. ومع ضآلة حجم السكان فى دبى حسب أعداد الإماراتيين فى مقابل المقيمين، فإن فرص التفاعل بينهم قد تعددت وتنوعت، من حيث مواقع

(١) معرض تكنولوجيا الروبوت RTEX ٢٠١٤ كتيب العارضين
<http://www.RT-ExHiPTION.cOM> accessed Nov 12, 2014.

السكن ونماذجها، ووسائل النقل والمواصلات بين بحرية وبرية وجوية، وسبل الاتصالات (الهاتف والفاكس والإنترنت)، وكذلك تعددت المناسبات والمهرجانات سواء للتسويق والتجارة والسياحة أو للإعلام والثقافة والسينما وغيرها. كما اتسم مجتمع مدينة دبى بالتنوع الثقافى، وجمع بين قوميات وسلالات مختلفة، وجنسيات متباينة، آسيوية وأوروبية وعربية وغيرها، واتسع التنوع فى دبى ليشمل الاقتصاد والتجارة والصناعة والزراعة والسياحة والعقارات بالإضافة إلى إنتاج النفط ، وتمثل نسبة القطاعات غير النفطية ٩٥% من إجمالى الناتج المحلى. وإذا كانت كثافة التفاعلات فى مدينة دبى تسمح باللقاء والاتصالات المتكررة وتساعد على صنع أفكار جديدة وتجديدات فإن التنوع بين السكان فى المعارف والمهارات والنشاطات والتصورات وما يتوافر لديهم من قدرات يسمح لهم بتبادل الأفكار والمعارف وعرض تجديداتهم أثناء وجودهم فى المكاتب والمحال والمقاهى وغيرها، وما قد يضفى طابعاً دينامياً على المدينة وازدهار الحياة فيها. كما أن مدينة دبى واجهت ولا تزال تواجه تحديات متباينة تنعكس على حالة عدم الاستقرار بها، التى ربما تسهم فى إبداعيتها.

كما لم تكن الأزمة المالية ضربة قاضية، لأنه كانت هناك نقاط قوة فى هذا النموذج كالتجارة والخدمات وبعض الصناعات التى لم تتأثر كثيراً بهذه الأزمة، وهى المجالات التى توصى الدراسات السابقة بالاهتمام بها، وتوظيفها والإفادة من القيمة المضافة لها فى ظل نموذج اتحادى يكون منسجما مع الجهود التنموية الخليجية. وارتبط بالأزمة المالية تحدٍّ آخر ترتب على اعتماد نموذج دبى على الرسالة البصرية التسويقية أكثر من اعتماده على مفاهيم تنموية مستدامة، وما حدث من خلل جعل دبى تفقد روح المدينة الخليجية العربية وتتحول إلى معمل مفتوح لتطبيق موضات وطرز معمارية غريبة، وتدعيم هويتها الجديدة كمدينة عالمية، على حساب القيم المحلية وما يتبعها من قضايا المواطنة والهوية.[١] وربما اتفقنا مع ما ذهبت إليه مقترحات الدراسات السابقة، من أهمية الاعتماد على مفاهيم التنمية المستدامة، والحرص على القيم العربية والمحلية وحقوق المواطنة والهوية العربية الإسلامية فى تجاوز كل ذلك. وربما أسهم التنوع السكانى والثقافى والاقتصادى فى وضع دعائم رأس المال المعرفى فى دبى،

(١) على عبد الرؤوف، مرجع سابق.

باعتباره محصلة للمدينة الإبداعية، وما تمتاز به من مقومات. وكذلك ربما أسهمت التحديات المختلفة التى واجهت دبى فى الاتجاه نحو إقامة اقتصاد المعرفة، باعتباره سياسة تنموية بديلة لجأت إليها معظم دول العالم لتجاوز مأزق التنمية الذى عانت منه كثيراً.

٣- ترجمت دبى هدف الارتقاء بجودة الحياة على أرض الواقع، وتحولت إلى مدينة مفضلة للمقيمين الحاليين والمرتقبين عبر تحسين رفاهية المواطنين والمقيمين ومساعدتهم على أن يعيشوا حياة أفضل غنية بالفرص والخيارات. ونفذت رؤيتها لتصبح المدينة الأذكى فى العالم بناء على ستة أعمدة؛ حياة ذكية ووسائل نقل ذكية ومجتمع ذكى وحكومة ذكية وبيئة ذكية إلى جانب الاقتصاد الذكى وذلك وفقاً لما أكده وندن Winden وزملاؤه فيما يتعلق بأعمدة الاقتصاد والتنمية القائمة على المعرفة(١). وتم إطلاق النسخة المحدثة من تطبيق الدفع عبر الهواتف الذكية التى تشترك فيها أربع جهات حكومية هى هيئة كهرباء ومياه دبى، وهيئة الطرق والمواصلات وشرطة دبى والاتصالات؛ حيث يتم بخطوة واحدة تنفيذ خمس خدمات حكومية أساسية من دفع للفواتير وشحن وتعبئة الرصيد وتسديد المخالفات المرورية وشهد هذا التطبيق معدلات إقبال متزايدة من الأفراد والمؤسسات، وتشارك عدة بنوك فى دبى فى هذا التطبيق عن طريق الخصم من حساب العميل وبطاقات الائتمان، هذا بالإضافة إلى تطبيقات الأمن والعدالة وتداولات الأراضى والأملاك والمؤشرات العقارية، وهذا يؤكد أنه إذا كانت المدن الإبداعية ونموذجها دبى تمثل مفتاح خلق القيمة الاقتصادية، وتعمل على دعم الابتكار، فإنها تملك إمكان تعزيز الجودة فى الحياة والفرص أمام قسم كبير وأوسع من السكان مما يساعد على جذب والحفاظ على رأس المال المعرفى حسب ما أشار إليه فلوريدا(٢).

٤- لقد تطور التعليم فى دبى وبسرعة ملحوظة فى السنوات الأخيرة، واتسع القبول فى جميع مراحله، بغض النظر عن قومية الطالب. وهو ما يشهد على التزام حكومة دبى بتشكيل رأس مال بشرى، لكن رغم أن إتاحة فرص التعليم قد تزايدت فإن جودة التعليم لم تحقق تقدماً بنفس السرعة، مما جعل مستوى الجودة المتواضع فى نظام التعليم عقبة

(1) W.V. Winden, L.V. Denberg. and P. Pol, Op. Cit.
(2) R.Florida, Op. Cit.

فى طريق التنمية المستدامة. ولما كان الاقتصاد القائم على المعرفة يستند إلى نظم تعليم عالية الجودة بدأت حكومة دبى حديثاً بوضع مقاييس لتحسين الجودة ومعالجة القيود الشديدة أمام التعليم العام والجامعات الوطنية، وعينت لجامعات دبى والإمارات دوراً بارزاً كحجر أساس فى الاقتصاد القائم على المعرفة، لأنه اقتصاد يبنى على جهود السكان المتعلمين والمهرة الذين يستطيعون ابتكار المعرفة واستخدامها، وعلى شبكة الابتكار التى تتكون من الشركات ومراكز البحث والجامعات، وتطوير المنتجات ذات القيمة فى الأسواق، أو فى الجملة تشكيل رأس مال معرفى. وبناء على ذلك تم التوسع فى القبول بالتعليم العالى، لكن لا يزال المعدل أقل من المعايير الدولية ومتطلبات الاقتصاد القائم على المعرفة، وكذلك لم يصاحب النمو فى سكان دبى، نمواً مصاحباً بين طلاب التعليم العالى. وإذا كانت الجامعات لها دور أساسي فى الإسهام فى الابتكار وتقدم المعرفة، فلم تظهر جامعة واحدة فى دبى بين أعلى ٥٠٠ جامعة فى العالم حسب مقياس (AAWR). بينما كانت جامعة الإمارات العربية المتحدة فى العين قد وصلت إلى ترتيب ٣٧٢ بين ٤٠٠ جامعة طبقاً لمسح (QS) لترتيب جامعات العالم.

وقد كشفت البيانات عن تيار إيجابى، تزايد فيه ما تم نشره سنوياً من أعمال علمية بواسطة باحثين فى دولة الإمارات من ٥٠٠ مقال عام ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٠ عام ٢٠٠٩. وقد أجريت الغالبية العظمى من البحوث المنشورة بمعرفة باحثين إماراتيين بالفعل خارج دبى وفى جامعات مثل الجامعة الأمريكية بالشارقة وجامعة الشارقة واقتصر البحث والتشبيك مع الصناعة على أدوار ضئيلة وغير ذات أهمية، وتقدم الغالبية من الجامعات فى دبى برنامجاً واحداً أو اثنين فى إدارة الأعمال أو تكنولوجيا المعلومات، والمحصلة أنه ليس من المدهش ألا يكون للبحث والابتكار وجود واضح. ولا تملك دبى إلا برامج بحث قليلة للغاية من التى توفر عرضاً من الباحثين المهرة والعلماء الذين يحتاجهم التحول إلى الاقتصاد القائم على المعرفة، ولا يحتمل أن توفر المعاهد التى أنشئت حديثاً هذه الدرجات فى المستقبل، ولذلك إذا كانت دبى تعتمد فى رأس مالها المعرفى على الخبرات المستوردة لدعم قدرتها على البحث والتطوير حالياً، ويشهد على ذلك وجود ١٥٠٠٠ من العاملين فى مجالات الإبداع والابتكار، وما يشكل رأس مالها المعرفى حالياً، فإنها سوف تستمر فى السير فى هذا الاتجاه فى المستقبل المنظور، وقد يساعدها على ذلك ما تمتاز به من تنوع، واهتمامها بجودة

الحياة، وذلك طبقاً لما ذهب إليه فلوريدا من أن طبقة المبدعين يفضلون الأماكن التى تتميز بالتنوع والابتكار والتسامح[١]. وتوصى الدراسات السابقة فى هذا الصدد بأن لا تتوقف دبى عن مراجعة السياسات التعليمية، لأن تراجع نظام التعليم لا يؤثر سلباً على التحول نحو الاقتصاد القائم على المعرفة فحسب وإنما ينعكس كذلك على النمو الاقتصادى[٢]. وعليها أن تعطى الأولوية لفروع العلم الطبيعى الأساسى والتطبيقى فى برامج التعليم الجامعى.

٥- أقامت إمارة دبى اقتصادها الجديد طبقاً لنموذج الاقتصاد المدفوع بالابتكار واهتمت بتعزيز التكتلات والتفاعلات المستمرة بين الشركات والهيئات الأخرى فى بيئة الأعمال المحلية والإقليمية، وظهرت تكتلات بين الشركات وتعاون مكثف مع المنظمات الأكاديمية والجامعات، كما ظهرت شبكة علاقات تربط بين ١٢٠٠ شركة.

وقد سعت دبى إلى تنمية التكتلات من خلال مجموعة دعم الخدمات المقدمة لنشاطات الأعمال مستعينة فى ذلك بوسائل لتنمية وتشبيك العلاقة بين هذه النشاطات وبرامج لتنمية شخصية رائد الأعمال، وتوفير صالات عرض للمواهب ونشاطات رجال الأعمال، وأقامت نظماً للمعلومات المختلفة والاتصالات والتغذية المرتدة، ولم تغفل الاهتمام بقضايا وأحداث اجتماعية متباينة. وحان الوقت أن تعمل دبى على تطوير سياسات تساعد على بناء تكتلات جديدة أو تسهم فى مساعدة التكتلات القائمة على النمو والازدهار. ويجب أن تؤسس دبى أجندة عمل فى المستقبل تأخذ فى اعتبارها واقع عمليات الابتكار الحديثة والفهم الحديث لديناميات التكتلات؛ لأن الابتكار تميز على نحو متزايد على أنه عملية مفتوحة يمكن أن تتعاون من خلالها هيئات كثيرة (الشركات والعملاء والمستثمرون والجامعات) وغير ذلك من تنظيمات من خلال منهج غير خطى، لأن النموذج الخطى التقليدى الذى يعين أدواراً واضحة للبحث الأساسى فى الجامعات والبحث التطبيقى فى مراكز البحث والتطوير فى الشركات لم يعد يثمر، ولأن الأفكار تتحرك عبر الحدود المؤسسية على نحو متكرر أكثر. ويستفيد الابتكار من القرب المكانى الذى يمكن عملية تدفق المعرفة الضمنية غير الملموسة والتفاعلات

(1) R. Florida. Op. Cit.

(1) Rainmuds Soto. Education in Dubai From Quantity To Quality. Op.Cit., p. 23.

غير المخطط لها التى تمثل أجزاء مهمة فى عملية الابتكار، ولأن المزيد من الاستثمار فى العلم والبحث والتطوير لم يعد يؤدى على نحو آلى إلى تيار الابتكار وتكوين شركات جديدة، وتمثل التكتلات الأساسية لعملية الابتكار الحديثة، التى تعرف تحديداً على أنها المشاركة فى الموقع Co-location بين الإنتاج ومقدمى الخدمة والمؤسسات المالية ومعاهد البحث والتعليم وغير ذلك من مؤسسات حكومية خاصة تلك التى ترتبط فيما بينها من خلال صلات من أنواع متباينة – تمثل عنصرين اثنين مهمين فى بناء مستقبل دبى المستدام.(١)

٦- إن محصلة الإجابة عن تساؤلات البحث، ربما تدلل على أن الفرضية القائلة بأن "بنية المدينة الإبداعية تسهم فى نمو رأس مال معرفى ضرورى للتحول إلى اقتصاد المعرفة"، قد تحققت جزئياً لأن نمو رأس مال معرفى جاء محصلة لجذب جودة الحياة فى مدينة دبى للعاملين فى مجالات الإبداع وليس لجودة تعليم عال يعمل على بناء قدرات المواطنين للعمل فى مهن المعرفة. بالإضافة إلى أن تحول دبى إلى اقتصاد معرفى يواجه بتحديات تنمية الابتكار ودعم التكتلات بين الشركات والجامعات والمراكز الاستراتيجية، وتعزيز الشراكات الإقليمية الدولية. وعلى العموم أثارت معالجة فرضية البحث مجموعة من القضايا الجديرة بالبحث فى المستقبل:

أ. بنية المدن الإبداعية فى الخليج واقتصاد المعرفة؛ رؤية مستقبلية.

ب. التحول تجاه اقتصاد المعرفة فى دبي وتداعياته الاجتماعية والثقافية.

ج. الاعتماد على رأس مال معرفى وافد فى التحول إلى اقتصاد المعرفة وانعكاساته على الاغتراب والهوية فى دبي.

(1) Orjan Solvell. Along Term Stratgy for Dubai Building on Innovation and Clusters. Op. Cit, p. 23.

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية.

كتب :

١. كاريللو، فرانشيسكو، مدن المعرفة؛ المداخل والخبرات والرؤى، ترجمة عربية، إعداد خالد على يوسف (الكويت، عالم المعرفة، أكتوبر ٢٠١١).

بحوث منشورة فى كتب :

١. عبد الرؤوف، على. الاندماج الاجتماعى بين مأزق الهوية وفخ العولمة؛ تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة فى: جدليات الاندماح الاجتماعى وبناء الدولة والأمة فى الوطن العربى (الدوحة قطر، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤).

دوريات :

١. اليوسف، يوسف خليفة، الإمارات العربية المتحدة على مفترق طرق، المستقبل العربى، العدد الثانى عشر والأربعمائة (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣).
٢. جلبى، على عبد الرازق وعبد ربه، أمل عادل، التنمية القائمة على المعرفة، سياسة تنموية بديلة: تحليل خطاب دوائر المعرفة فى مصر، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، معهد التخطيط القومى، القاهرة، المجلد الحادى والعشرون، العدد الأول (يونيو ٣٠١٣).

تقارير:

١. مركز الدراسات الإقليمية والدولية، نموذج دبى؛ التنويع والتباطؤ فى الاقتصاد السياسى لمنطقة الخليج (كلية الشئون الدولية بجامعة جورج تاون، قطر، ٢٠١٢).
٢. مركز دبى للإحصاء، دبى فى أرقام (حكومة دبى، دبى، ٢٠١٢).

ثانياً : المراجع غير العربية.

Books:

1. Narula, R. Globlization & Technology; Interdependence, Innovation systems and Industrial policy, (UK; MPC Book LTD, 2003).

2. Solvell. O.Along-term Strategy for Dubai Bulding On Innovation and Clusters (Dubia Economic Councial 2009).
3. Soto, R., Education in Dubai From Quantity to Quality (Dubai Economic Council, 2013).

Journals:

1. Florida, R. Cities and Creative Class, City & Community, Vol. 2, No. 1, March-2003.
2. Lazlo, K. C and Lazlo, A. Fostering Sustainable Learning Society Through Knowledge Based Development, System Research & Behavioral Science, No. 24, 2009.
3. Scott, A. J. Creative Cities; Conceptual Issues and Policy Questions, Journal of Urban Affairs, Vol. 28, No. 1, 2006.
4. Winden. W.V., Denberg, L.V. and Pol, P. "European Cities In the knowledge Economy; Toward A Typology". Urban Studies, Vol. 44, No. 3, 2007, pp. 525-549.
6. Yigitcanta,T. Making Spaces and Places for the knowledge Based Development-Australian Cities. European Planinig Studies, Vol; 18, No: 11 Nov 2010, pp. 1770-1786.